وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مولود معمري- تيزي وزو
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
فرع التاريخ
تخصص تاريخ حديث ومعاصر.

# السياسة التعليمية الفرنسية في منطقة القبائل 1857-1905م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر.

إعداد الطالبتين:
-حياة ردواني.
- صليحة بركات.

إشراف الأستاذة:
- د.مزهورة صالحي.

السنة الجامعية: 2016- 2017

# كلمة شكر

نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أعاننا على إنجاز هذا البحث، ونخص بالذكر منهم الأستاذة المشرفة الدكتورة **"مزهورة صالحي"**، التي لم تبخل علينا بالمساعدة بنصائحها وتوجيهاتها القيمة، رغم كثرة اِلتزاماتها، وكل أساتذة قسم التاريخ بالقطب الجامعي تامدة وكل أساتذة جامعة الجزائر "2"، والمدرسة العليا للأساتذة، الذين دعمونا بتوجيهاتهم لنا

ونشكر أيضا عمال المتحف الجهوي للمجاهد، وكل من ساندنا وشجعنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

**حياة وصليحة.**

# الإهداء

من دواعي الفخر والاعتزاز أن أهدي ثمرة جهد هذا العمل المتواضع إلى أمي وأبي العزيزين أطال الله في عمرهما.

إلى أفراد أسرتي وسندي في الدنيا إخواني وأخواتي الأعزاء.

إلى كل الأقارب والأصدقاء ورفقاء الدراسة دون استثناء.

وإلى التي تقاسمت معي هذا العمل المتواضع "بركات صلحية" وعائلتها.

وكل من ساندني من قريب ومن بعيد.

إليكم جميعا أهدي هذا العمل.

**حياة رداوني.**

# الإهداء

من دواعي الفخر والاعتزاز أن أهدي ثمرة جهد هذا العمل المتواضع إلى أمي وأبي العزيزين أطال الله في عمرهما.

إلى أفراد أسرتي وسندي في الدنيا إخواني وأختي.

إلى كل الأقارب وأخص بالذكر عمي علي وكل الأصدقاء –خاصة أختي العزيزة "دليلة".

وإلى التي تقاسمت معي هذا العمل المتواضع "ردواني حياة" وعائلتها.

وكل من ساندني من قريب ومن بعيد.

إليكم جميعا أهدي هذا العمل.

**صليحة بركات.**

# قائمة المختصرات:

**1- بالعربية:**

- ج: الجزء.
- ط: الطبعة.
- ع: العدد.
- د.ط: دون طبعة.
- د. ب.ن: دون بلد النشر.
- د.ت.ن: دون تاريخ النشر
- ص: الصفحة.

**2- بالفرنسية:**

T : Tome de livre.
Ed : édition.
P : Page.

# مقدمة

أدركت السلطة الاستعمارية الفرنسية أهمية التعليم وقيمته للحفاظ على هوية الأفراد والأمم، فجعلت منه أداة للغزو المعنوي والفكري في الجزائر منذ السنوات الأولى من الاحتلال، بتحويل أو تدمير أو غلق المدارس التعليمية الدينية.

وفي إطار سياسة فرق تسد، انفردت منطقة القبائل عن باقي المناطق، بسياسة تعليمية خاصة، بهدف دمجها في البوتقة الفرنسية، عن طريق تكثيف التعليم الفرنسي بها. وحسب منظور بعض القادة والمفكرين الفرنسيين، فإن لمنطقة القبائل خصوصيات تاريخية وإثنية ودينية تجعلها أكثر إقبالا وتكيفا مع الثقافة الفرنسية.

لهذا الغرض ستجد منذ السنوات الأولى من احتلالها، استراتيجيات ومنافذ لأجل تجسيد هذا المشروع التعليمي الضخم بالمنطقة، عن طريق تكثيف وتنويع المدارس والبرامج التعليمية.

ولعل الفترة التي اخترناها والتي تمتد من احتلال وسقوط المنطقة سنة 1857م إلى سنة 1905. في هذه السنة(1905) انعقاد مؤتمر المستشرقين في الجزائر، أين تقرر تحديد مستوى التعليم للأهالي الجزائريين في الطور الابتدائي بمنحهم شهادة التعليم الابتدائي (Le certificat d’études)، ماعدا أبناء العملاء الذين يسمح لهم بمزاولة التعليم الثانوي والتعليم العلي.

**أولا: أسباب اختيار الموضوع:**

لكل بحث علمي أسباب لدراسته، ومن جملة الأسباب التي جعلتنا نعالج هذا الموضوع وندرسه يمكن حصرها في أسباب ذاتية وموضوعية تتمثل في:

- يعد التعليم أو المدرسة أساس تقدم وتخلف المجتمعات البشرية.
- الاهتمام بتاريخ المنطقة بهدف الحفاظ على الهوية المحلية والوطنية.
- انفراد منطقة القبائل بثقافة اجتماعية ولغوية، جعلتها محل الاهتمام والنقد في نفس الوقت.

- قلة الدراسات الأكاديمية حول تاريخ المنطقة، وتوجه الدراسات الجامعية الحالية نحو التاريخ المحلي.
- الاهتمام الفرنسي الخاص بالمنطقة، عن طريق فرنستها وتمسحيها.
- الرغبة في الاطلاع على المدارس الفرنسية في منطقة القبائل، والتي لم تحض بالدراسة من طرف الباحثين في الموضوع.

**ثانيا: تحديد إشكالية البحث:**

من خلال دراستنا لموضوع السياسة التعليمية الفرنسية في منطقة القبائل، قد ارتأينا طرح إشكالية البحث والمتمثلة في كيف كانت سياسة فرنسا التعليمية في منطقة القبائل؟ وللإجابة على فصول هذه الدراسة فرعنا الإشكالية إلى التساؤلات التالية:

- كيف كان واقع التعليم في منطقة القبائل قبل الاحتلال الفرنسي لها؟
- ما طبيعة التعليم الذي أوجدته فيها؟
- ما هي الإستراتيجية الفرنسية بالمنطقة؟
- ما مدى استجابة سكان القبائل لهذا التعليم؟
- ما موقف المستوطنون منها؟
- إلى أي مدى نجحت هذه السياسة التعليمية؟

وهكذا يتضح أن الإشكالية المطروحة أكبر من المقاربة التي تفرض نفسها لدراسة مسألة التعليم الفرنسي بالمنطقة، كمشروع استعماري فقط.

**ثالثا: الخطة المنتهجة:**

وأما الخطة التي انتهجناها، والتي حاولنا من خلالها الإحاطة قدر الإمكان بلب الموضوع ودلالاته وأهميته التاريخية، فإنها تشكلت في الأساس من فصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة، وجملة من الملاحق الهامة التي تخدم الموضوع.

الفصل التمهيدي بعنوان: "**واقع التعليم في منطقة القبائل قبل الاحتلال**": تعرضنا فيه إلى جوانب من التعليم العام في الجزائر عامة قبل الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م. وقد خصصنا بالذكر منطقة القبائل، كونها محور دراستنا، أين قمنا بعرض مختصر حول خصائص هذه المنطقة، وطبيعة التعليم فيها قبل سنة 1857م.

الفصل الأول تحت عنوان: "**التعليم الفرنسي إيبان الاحتلال**": وقد تناولنا فيه طبيعة التعليم الفرنسي وخصائصه سواء التبشيري منه أو العمومي، ومختلف المدارس التي أنشأتها فرنسا عبر مختلف قرى ومداشر المنطقة.

وأدرجنا ضمن هذا الفصل نموذجين من المدارس الفرنسية التي لم تذكر في أغلب المراجع والمصادر التي اضطلعنا عليها أثناء إعدادنا لهذا البحث، وهما مدرسة الإخوة "بوساكو" بسيدي نعمان ومدرسة "آث منصور محند" بتامدة. حيث قمنا بزيارة ميدانية لهذه المدارس، وأخذنا معلومات حول نشأتها وطبيعة التعليم بها ونظامها ومصيرها، من مختلف المصادر المتمثلة في الروايات الشفوية.

الفصل الثاني المعنون بـ "**إستراتيجية فرنسا في منطقة القبائل**": فعالجنا فيه اهتمامات السلطات الفرنسية بالمنطقة، والذي يتجلى في الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية التي قام بها مجموعة من القادة العسكريين بمساندة رجال الدين الناشطين بالمنطقة، لإثبات التقارب بين الممارسات الاجتماعية القبائلية وممارسات سكان القرى والأرياف الفرنسية.

والهدف من هذه المقاربة: نشر الحضارة الفرنسية المسيحية والإدماج وتفكيك المجتمع الجزائري.

أما الفصل الثالث: بعنوان "**المواقف المختلفة من السياسة التعليمية الفرنسية بالمنطقة**"، خصصناه لإبراز ردود الفعل المختلفة من التعليم الفرنسي في منطقة القبائل. قسمناه إلى قسمين: التيار المعارض والمتمثل برجال الزوايا والتيار المؤيد المتمثل في النخبة الفرنسية التي قبلت بالتعليم الفرنسي، وثانيا المواقف الفرنسية التي تجلت في موقف الحكومة

والبرلمان الفرنسيين وردة فعل المستوطنين، حيث كان منهم معارضين وقلة من المؤيدين، وقد أدرجنا ضمن هذا الفصل اِنعكاسات السياسة التعليمية الفرنسية على المنطقة.

وفي الخاتمة استعرضنا ما بدا لنا مهمًا من نتائج، وفي الأخير أرفقنا الموضوع بمجموعة من الملاحق.

**رابعا: المادة التوثيقية:**

ولإعطاء الموضوع حقه من البحث فقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المختلفة، حيث ارتكزنا في الأساس على:

**1- المقابلات الشخصية:** فأثناء قيامنا بالدراسة الميدانية قمنا بعدد من المقابلات الشخصية مع الأشخاص الذين ساعدونا بإعطائنا بعض المعلومات حول المدارس الفرنسية التي زرناها ومنهم من كان عاملا بها ومنهم من تخرج منها أمثال: **محمد وعلي ناث جودي:** أستاذ لغة فرنسية خريج مدرسة جامع نصهاريج.

- **محمد عرقوب:** أستاذ التاريخ والجغرافيا في مدرسة سيدي نعمان.
- **خيدر رشيد:** عامل عمومي في مدرسة تامدة.

المجاهد **زيداني محند أرزقي**، الذي روى لنا أحداث هامة عن مدرسة تامدة ونظامها في العهد الاستعماري

**2- المصادر المطبوعة:** فقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر العربية والفرنسية فالمصادر العربية تتمثل في كتاب "تاريخ الزواوة" لأبو يعلي الزواوي، ومؤلف هانوتو ولوتورنو بعنوان "القبائل والأعراف القبائلية".

أما الفرنسية اعتمدنا على مجموعة من المصادر أهمها: "Chronique Tizi-Ouzienne 1844-1914" لـ"**Jean De Crescenzo**" تعرض للمدارس الفرنسية في المنطقة كمدرسة جامع نصهاريج، وكتاب **فاطمة آث منصور** "تاريخ حياتي""Histoire de ma vie"

والذي تروي فيه قصة حياتها، أين تحدثت عن دراستها عند الخوات البيض ومراكز التبشير في المنطقة خاصة مركز آث هيشم.

3- **المراجع:** كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع العربية والفرنسية التي زودتنا هي الأخرى بمعلومات حول موضوع دراستنا سواء حول التعليم التبشيري أو التعليم العمومي وكذلك معلومات عن خصوصية المنطقة أهمها:

- شارل روبير أجيرون: "الجزائريون المسلمون وفرنسا".
- سعد الله أبو القاسم: "تاريخ الجزائر الثقافي".
- محمد الطاهر وعلي: "التعليم التبشيري في منطقة القبائل".
- خديجة بقطاش: "الحركة التبشيرية في الجزائر".
- عبد القادر حلوش: "السياسة التعليمية في الجزائر".

وباللغة الفرنسية اعتمدنا خاصة على:

- Fanny Colonna : Les instituteurs Algériens (1883- 1930).
- Mahe Alain : Histoire de la grande Kabylie XIX- XX siècles

مع الإشارة إلى أنّ أغلب المراجع العربية تناولت التعليم الفرنسي في منطقة القبائل بصفة سطحية فقط، كما اعتمدنا على مجموعة من الرسائل والأطروحات الجامعية أهمها:

- أطروحة سعيدي مزيان: "السياسة الاستعمارية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها"، ورسالة الدكتوراه للأستاذة حسين الحاج مزهورة: "الحالة المدنية: آلية من آليات الهيمنة الاستعمارية في الجزائر، حالة منطقة قبائل جرجرة 1897-1962.

كما اعتمادنا على مجموعة من المقالات المستوحاة من عدة مجلات أهمها: مجلة الأصالة، الثقافة...، وبعض المراجع الالكترونية، حيث استقينا منها المصطلحات والأعلام.

**رابعا: المنهج المتبع في البحث:**

- **المنهج التاريخي الوصفي:** الذي يعتمد على وصف الحوادث التاريخية وسردها وفق ما جمعناه من المصادر والمراجع المختلفة التي أمكننا الإطلاع عليها ودراستها برؤية علمية بعيدة عن كثرة التأويل والسرد المخل بطبيعة الوقائع التاريخية، حيث ركزنا عليه خاصة في وصفنا لحالة التعليم في منطقة القبائل قبل الاحتلال مع ذكر مؤسساته ومناهجه، ووصف نشاطات الإدارة الفرنسية والجمعيات التبشيرية في مجال التعليم، وقد راعينا في ذلك التسلل المنطقي والكرونولوجي للأحداث التاريخية.
- **المنهج التحليلي:** والذي يبرز درجة الوعي التاريخي والروح العلمية التي يجب أن يتحلى بها الباحث في التاريخ، فرأس الأمر كله هو تحليل الأحداث واستجلاء أبعادها وتفكيك خباياها خاصة وأن المسألة تتعلق بسياسة استعمارية شاملة وهدامة، حيث حاولنا من خلاله دراسة الممارسات الفرنسية في مجال التعليم في منطقة القبائل ثم تحليلها والتوصل إلى انعكاساتها وأثرها على المجتمع القبائلي.

**خامسا: أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية الموضوع في إبراز طبيعة الغزو الثقافي الفرنسي لمنطقة القبائل عن طريق الممارسات الفرنسية في مجال التعليم التبشيري والعمومي والأساليب والوسائل التي استخدمتها فرنسا في هذا المجال للقضاء على المقومات الروحية والحضارية للمجتمع القبائلي والجزائري.

إبراز مدى تعاون الإدارة الفرنسية مع الإرساليات الدينية لتحقيق المشروع الإستعماري عن طريق المدرسة والوقوف على نماذج من المدارس الفرنسية في منطقة القبائل

إبراز خصوصية منطقة القبائل والاهتمامات الفرنسية بها وانفرادها بسياستها التعليمية خاصة

**سادسا: أهداف البحث:**

إن الغاية من بحثنا هذا تظهر أكثر في عملنا على استجلاء الأبعاد الحقيقية التي

جعلت سلطات الاحتلال الفرنسي تولى اهتمامات متميزة بقطاع التعليم في منطقة القبائل أكثر من غيرها من المناطق.

سعينا إلى العمل من أجل كشف المغزى الحقيقي من وراء الاهتمام بالتعليم الابتدائي والتعليم المهني.

الوقوف على جوانب من السياسة التعليمية الفرنسية في منطقة القبائل وإبراز خصوصياتها.

**سابعا: صعوبات البحث:**

واجهتنا عدة صعوبات والتي كانت عقبة في طريقنا والتي تكمن في:

- صعوبة الترجمة لأن معظم ما كتب عن موضوعنا متوفر باللغة الفرنسية بسبب المدة الزمنية المحددة للبحث.

- نقص المادة العلمية الخاصة بموضوعنا في المكتبات الجامعية ما جعلنا نتنقل إلى مراكز علمية أخرى كالمتاحف، والانتقال إلى ولايات أخرى الجزائر وبومرداس والبويرة لجمع المادة اللازمة لبحثنا وهذا يعتبر معوقا نظرا لضيق الوقت، ومحدودية الفترة الزمنية للبحث.

- صعوبة الحصول على الوثائق المتواجدة في دور الأرشيف الولائية والوطنية ومراكز الحفظ البلدية وفي أرشيف بعض المدارس التي زرناها، بسبب العراقيل الإدارية التي صادفتنا مع غياب الوسائل العلمية التي تساعد الباحث على جمع مادته والاطلاع عليها في وقت معين.

وفي الأخير، نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المؤطرة الدكتورة صالحي مزهورة على النصائح القيَمة التي أفادتنا بها، ومكنتنا من إتمام هذا البحث. كما لا يفوتنا أن نقدم أسمى كلمات الشكر والاحترام لكل من قدم لنا يد المساعدة من بعيد أو قريب.

# الفصل التمهيدي

# واقع التعليم في منطقة القبائل قبل الاحتلال

كان التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830م جد متطور، إذ كانت للجزائر ثقافتها ولغتها الخاصة، والتعليم الذي كان منتشر آنذاك هو التعليم العربي الإسلامي الذي يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية، وقليل من الدراسات العملية ومعاهده المدارس القرآنية والكتاتيب[1]والزوايا[2]والمساجد[3].

وقد أكدت الكثير من الكتابات التاريخية حول حالة التعليم في الجزائر على أنه كان منتشرًا انتشارا كبيرا في البلاد، وأن عددا ضخما من المعاهد العلمية المختلفة كان قائما في سائر مناطق القطر الوطني، وحتى أن الشخصيات الفرنسية نفسها اعترفت بمكانة الجزائر العلمية قبل الاحتلال، ومن هذه الاعترافات نجد اعتراف "أوجين كومبس" (Eugene Camps)[4]في تقريره إلى مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ 1894/02/02م الذي أقر فيه بانتشار حركة التعليم وازدهارها في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي لها وتقلصها بعده وهذا في قوله:"*لك لإسق في ز آ مطكعكيل غىطك جوئذ خلاك زمب 1830 ال قئم آقتذىمةسئخ هآحزم حئلإ لك هـ عكي نئي مئلآ لذطكدىكل ي نصىطك زكسئ قطف نمزي ب غىطك جوئذ ّ قوخ قئمـ ة هئق آقتذ لـ م آلـ ى لخ نز بكعكيل ىئلإ لتخئى ك تئمهى ك ط ى ّ قئـ م ي تك و ك تخ في ز في هئ مخا ب لـ مئلآ ز ئتـ ب ىئلآقـ ئ؟ قلك آ مطكص لا إ قئمهئ لـ مك ساك اطكمئ هص ك لتغ س كعكيل ك لعغـ ب ّ هـ هئ غصلا إ ع م لئ ك لـ ز ئـ ج كعكـ ة ىقئـ م ة تمهى لتكي مطكغ بطكع نظي بك ص لا إ هـ*"[5].

---

[1]– الكتاتيب: هي المؤسسات التعليمية التربوية التي كانت أساس التعليم العربي التقليدي في الجزائر، وهو المكان الذي يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة، وقد كثر هذا النوع من المدارس في الجزائر وعرفت انتشارا واسعا في كل المناطق (للمزيد أنظر: عبد اللطيف العرابي وآخرون: معجم العلوم التربوية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1994 ص 16.

[2]– الزوايا: هي مؤسسة تربوية تعليمية تؤدي عدّة أدوار اجتماعية، سياسية وعلمية، ظهر معظمها فور سقوط الدولة الحمادية، وتأسيسها كان على أيدي العلماء، بمعية السكان الذين يتبرعون بأراضيهم لهؤلاء، وتكون مداخيلها من الأوقاف ومن مساعدة الناس، (أنظر: محمد أرزقي فراد: إطلالة على منطقة القبائل، (د.ط)، دار الأمل، الجزائر، 2006، ص 25.

[3]– آسيا بلحسين رحوي: "وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي"، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد 7 2011، ص 59.

[4]–أوجين كومبس: عضو في مجلس الشيوخ الفرنسي زار الجزائر في 1894 (أنظر: رحوي: المرجع نفسه، ص11 .

[5]– نفسه، ص ص 03-04.

كان في الجزائر قرابة 176 مؤسسة دينية في سنة 1830م، اذ كانت لها حضارة متقدمة ومجتمع منظم، والدراسات فيها مزدهرة جدا[1]، ولقد كانت معظم مناطق الجزائر بما فيها تلمسان وقسنطينة، مراكز لأكبر المعاهد العلمية والتربوية في الجزائر قبل الاحتلال.

وتعتبر منطقة القبائل مركز إشعاع للعلم والمعرفة ومنبعا ثريا للعلوم الإسلامية شأنها كشأن باقي مناطق الجزائر قبل الاحتلال وكانت الزوايا في هذه الفترة تمثل مركز للتعليم ومؤسسة أساسية لنقل المعرفة الدنية في الأوساط الشعبية، يشرف على الزاوية شيخ يكون كبير في السن من ذوي الحنكة والحكمة[2]، ويقوم نظام الدراسة في أغلب الزوايا على تقسيم شيوخ وطلبة الزاوية إلى أربعة جماعات متفاوتة في المكانة والصلاحيات والمهام وتتمثل هذه الفئات فيما يلي:

**1-جماعة الأكابر:**

هم الطلبة المتقدمون من أصحاب الحل والعقد في الزاوية، من صلاحيتهم التصرف في شؤون الزاوية مثل فض النزاعات أو التحكيم بين الناس وغيرها من المهام ومن ضمن هذه الفئة يندرج شيخ الزاوية[3].

**2-جماعة المقدمين:**

هم قدماء طلبة الزاوية وعددهم ما بين 6 إلى 10 طلاب، يتولون شؤون الطلبة بالتناوب لمدة شهر، ويعود إليهم النظر فيما يتعلق بسلوك الطلاب كالمواظبة على حضور حلقات التدريس، اذ تكون عقوبة ذلك القيام بأشغال لفائدة الزاوية[4].

**3- جماعة الوكلاء (إوكيلن):**

---

[1]- مزهورة حسين الحاج: السياسة الأهلية للولاية العامة الجزائرية في عهد الجمهورية الثانية (1870- 1901)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعةالجزائر2، 2004- 2005، ص 140.

[2]- RINN. L : Marabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie, Alger, 1884, P 54.

[3]- نصر الدين سعيدوني: في الهوية والانتماء الحضاري، ( د. ط)، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص 152.

[4]- مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها(1879-1914)، أطروحة دوكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر،2008-2009، ص 319.

هم حوالي أربعين فردا، كل بمهنته في تسيير شؤون الزاوية، ويكون ذلك بالتناوب لمدة شهر، يقوم هؤلاء بالالتزام بالأخلاق الإسلامية أمام الطلبة ليكونوا قدوة لهم كذكر البسملة قبل الأكل مثلا[1].

### 4- جماعة القدادش (إقداش):

وهم مجموعة الطلبة المتفرغين للدراسة، وحتى هم يكلفون ببعض الأشغال في الزاوية كالقيام بأعمال النظافة بها[2].

ولزوايا منطقة القبائل أحباس وقوانين داخلية، وهي تمتاز عن نظم الزوايا الأخرى فالزاوية أهمية كبيرة لدى سكان المنطقة، ولعل هذا يعود بالدرجة الأولى إلى دورها الديني والثقافي التعليمي كونها مدارس لأبناء المنطقة [3].

فالزوايا في تلك الفترة كانت مشروع اجتماعي يشترك فيه السكان ويفتخرون به ويساهمون في تمويله والسهر عليه، وقد وزعوا فيما بينهم الأدوار، فكان هناك دور للجماعة (ثاجمعت) [4]، ودور لأهل القرية، ودور للمرابط، وآخر للمعلم ودور للأسر، وبهذا فإنه يكون مشروع حضاري، وقد كان السكان يتنافسون على أن تكون زاويتهم أجمل الزوايا وأنظفها وأكثرها اتساعا، وكانوا يكرمون الضيف، ويطعمون الطلبة الغرباء، ويديرون شؤون الزوايا ببراعة[5].

أما عن التعليم فقد كانت الزوايا في منطقة القبائل قبل الاحتلال توفر تعليما متكاملا للطلبة المنتسبين إليها وهو يتدرج من مرحلة المبتدئين إلى مستوى المثقفين وذلك في مدة

---

(1)- SURDON. G : Institutions et coutumes des Berbères du Magreb (Maroc, Algérie, Tunisie, Sahara), les Editions international, Tanger,1939, p 357.

(2)- مزيان سعيدي: مرجع سابق، ص 320.

(3)- البو عبدلي المهدي: "الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى"، مجلة الأصالة، ع 13، الجزائر، 1973، ص 26.

(4)- ثجماعت: هي الصيغة القبائلية للكلمة العربية جماعة، وهو اجتماع اشتهرت به قرى منطقة القبائل وتعتبر السلطة الحاكمة في القرية ينتمي إليها كل من يصل إلى سن الرشد، ينظرون في الشؤون المختلفة للقرية، (للمزيد أنظر: هانوتو ولوتورنو: منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ترجمة: عبد الحميد مخلوف، ج2، (د.ط)، دار الأمل، الجزائر، 2013، ص 09.

(5)- أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1954)، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص 182.

غير محددة إذ تتراوح ما بين خمس إلى عشر سنوات، وتبدأ بالتحاق الطالب بالزاوية عادة في سن الرابعة عشر[1].

ونظرا للدور التعليمي الذي تلعبه زوايا منطقة القبائل فقد شهدت توافد العديد من الطلبة عليها من جميع أنحاء القطر الوطني، فقد اهتمت هذه الزوايا بترتيب وجمع المقررات الدراسية العديدة، حتى أصبحت تتوفر على مجموعات ثمينة من المخطوطات في مختلف المعارف والفنون، والعلوم اللغوية والفقيهة، وأصبح لبعضها مكتبات يحرص الشيوخ على المحافظة عليها ويعملون على إضافة إليها ما استطاعوا اقتناءه أو نقله مما يقع تحت أيديهم من مخطوطات ثمينة[2].

كان يدرس في الزوايا أساتذة متطلعون في العلوم المختلفة كالأدب، علم الكلام التفسير، والحديث، وغيرها من العلوم، وقد تميز هؤلاء الأساتذة بغزارة واسعة لمعارفهم وكانوا يعرفون بالشيوخ والعلماء، تخرج أغلبهم من زوايا وكتاتيب المنطقة، والقليل منهم واصل تعليمه بالزيتونة والأزهر وغيرهما من معاهد الثقافة الإسلامية، ومن أبرز شيوخ المنطقة والذين كانوا من خريجي الزوايا: الشيخ السعيد الحسين الورثيلاني[3] الذي يعتبر من أعمدة العلم والمعرفة في منطقة القبائل، إضافة إلى الشيخ أبو القاسم البوجليلي[4]. وغيرهما من العلماء والفقهاء الذين سطع نجمهم في المنطقة[5].

---

[1]– عمر باعزيز: "الزوايا في الزواوة"، جريدة الشهاب، ج 1، ع 9، الجزائر، 1933، ص 17.

[2]– أبو يعلي الزواوي: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق: إسماعيل بواري، (د. ط)، مطبعة الديوان، الجزائر، 2005، ص 87.

[3]– الحسين بن محمد الورثيلاني: (1125هـ– 1193هـ)، ولد في آث ورثيلان، من أسرة قبائلية معروفة، من علماء منطقة القبائل، خريج مدرسة القرآن، تفرغ للعلم والتصوف على الطريقة الشاذلية، درس في آث ورثيلان، حج مرتين وزار العديد من البلدان العربية، ومنها تنوعت معارفه، ومن أهم مؤلفاته: "شوارق الأنوار في تحرير معاني الأذكار"، (للمزيد أنظر: أبو قاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 133).

[4]– أبو القاسم محمد بن بلقاسم البوجليلي: (1826– 1898) ولد في بجاية بقرية بوجليل، ينتمي إلى أسرة شريفة من الحسنيين، حفظ القرآن الكريم على والده، درس مختلف العلوم والمعارف العربية والإسلامية، من خرجي زاوية عبد الرحمن الإيلولي (أنظر: يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995، ص 71).

[5]– عمر باعزيز: المرجع نفسه، ص 18.

ويتألف التعليم في منطقة القبائل قبل الاحتلال من مستويات التعليم الثلاث وهي كالآتي:

– **المستوى الأول:** هو التعليم الابتدائي، ويكون في المدارس القرآنية، وهو خاص بالتلاميذ المبتدئين المحجر عليهم، كونهم خاضعين للمراقبة، إذ يعرفون في المنطقة بـ "إحجارن" و"إيقداشن" ويكون برنامجهم منحصرا في استظهار سور القرآن، وحفظ بعض الأحاديث، وتعلم الخط، والتدريب على مبادئ الكتابة[1].

– **المستوى الثاني:** فهو التعليم المتوسط أو الإعدادي، ويتم في المساجد، خاص بالطلبة الذين يوجهون لتلقي مبادئ العلوم اللغوية والدينية، وقواعد الصرف والنحو، ويعرفون بـ "المعدين" الذين منهم من يتعلم في الصباح ومنهم من يدرس في المساء[2].

– **المستوى الثالث:** وهو التعليم الثانوي، ويكون في الزوايا وهو مستوى متقدم، خاص بمجموعة من الطلبة يعرفون بـ "المنهيين" أو "المحضرين" أو "المتقدمين"، وتتركز دراساتهم على معالجة المسائل الفقهية والأمور اللغوية، ويهتمون بالراوية والتجويد وأحكام الفقه خاصة، وقد اشتهرت بعض الزوايا في هذا المستوى بتعليم متطور وعال يفوق في بعض الأحيان ما تقدمه بعض المعاهد الدراسية بالمساجد الكبرى بمدن الجزائر[3].

يجمع التعليم في منطقة القبائل قبل الاحتلال بين تلقي المعلومات والالتزام بالآداب والسلوك حسب التقاليد الإسلامية المتعارف عليها، دون الاهتمام بميولات الطلاب ومتطلباتهم ويصنف الطلبة في تعليمهم إلى فرعين، الفرع الأول: يعرفون بطلبة اللوح، وهم فئة متفرغة للدراسة، وطلبة الدبوز وهم فئة موجهة للخدمة والعمل، وينتهي التعليم في أغلب الزوايا بحصول الطالب على إجازة تسجل فيها المواد التي درسها، وأصناف المعارف التي

---

[1]– أبو قاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 22.

[2]– أبو قاسم سعد الله: نفسه، ص 23.

[3]– مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص 323.

تحصل عليها، والمقررات الدراسية المرتبطة بها، وهذه الإجازة تكون بمثابة تزكية تمنح للطلاب لاجتهادهم[1].

ويعتمد التعليم في الزوايا على كتب متداولة ومتعارف عليها، ومن النادر أن يتجاوزها قدماء المدارس أو يخالفها الطالب، وتكون مواد الدراسة كما يلي: التفسير، الحديث، الفقه والفرائض، أصول الفقه، علم الكلام، المنطق والتصوف، السير والأخبار، النحو والصرف البلاغة والعروض، الفلك وحساب الأعداد[2]. ومما نلاحظ من هذه المواد الدراسية أن معظمها خاص بالعلوم الدينية وقلة قليلة من العلوم الدنيوية.

وقد تعاظم دور الزوايا مع تراجع دور السلطة المركزية من خلال قيامها بعدة مهمات أكثرها التدريس والتعليم[3].

ومن أشهر زوايا منطقة القبائل التي رفعت لواء التعليم قبل الاحتلال نجد:

**1- زاوية عبد الرحمن الإيلولي:** هي زاوية أسست في القرن السابع عشر[4]، في **آث إسماعيل**، قرية آث كوفي، ببوغني، لها دور بارز ونشاط تربوي كثيف في عمق المنطقة[5].

نجحت هذه الزاوية باستقطاب أجلاء وكبار المعرفة آنذاك أبرزهم: أرزقي الشرفاوي[6]ومن أشهر العلماء الذين تخرجوا منها يوجد: أبو يعلي الزواوي[7] والعلامة الكبير

---

(1)- محمد أرزقي فراد: الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، الملتقى الوطني الأول والثاني، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 17.

(2)- نصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص ص 148، 150.

(3)- أمقران يسلي: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920- 1954)، (د.ط)، دار الأمل، تيزي وزو (د.ت.ن)، ص 100.

(4)- يحي بوعزيز: ثورة 1871م (دور عائلتي المقراني والحداد)، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت، ص 72.

(5)- محمد أرزقي فراد: إطلالة...، المرجع السابق، ص ص 84- 85.

(6)-أرزقي الشرفاوي: ولد في 1880م، ينحدر من أسرة ابن القاضي المشهورة التي كانت تحكم إمارة كوكو بجبال جرجرة تخرج من الزاوية، حيث أتقن القرآن حفظا وتجويدا، درس في المدرسة الثعالبية بالعاصمة، ثم انتقل إلى القاهرة ودرس بالأزهر الشريف وأصبح يعلم به، ثم عاد إلى الجزائر لينشط في منطقة القبائل له عدة مؤلفات أهمها: "الخلاصة المختارة في فضلاء زواوة". (أنظر: محمد الصالح الصديق: الشيخ أرزقي الشرفاوي، حياة وآثار، شهادات ومواقف، ط1، دار الأمة الجزائر، 1998، ص 113-115).

(7)-أبو يعلي الزواوي: من علماء منطقة القبائل (سيكون له ترجمة مفصلة في الفصل الثالث من البحث).

الكبير محمد بن زكري[1]، ...الخ. وهذا كله نظرا لسمو هذه الزاوية وإلى مكانتها العلمية المرموقة التي جعلتها تصنف ضمن المعاهد التعليمية الناجحة.

وبعد دخول المحتل الفرنسي للمنطقة سنة 1857م حسبوا لهذا المعهد ألف حساب ونظروا إليه نظرة خاصة، وقد قيل أن فرنسا لم يهدأ لها بال حتى دمرت الزاوية، وأن النيران ظلت تلتهم نفائس المكتبة العامرة بها قرابة أسبوع كامل[2].

### 2- الزاوية الرحمانية:

لقد عملت الزاوية الرحمانية[3] في منطقة القبائل لنشر التعليم على أوسع نطاق وقد كان لها أساتذة مشهورين يقدمون الدروس فيها إلى غاية وفاتهم[4].

وقد تخرج من هذه الزاوية الكثير من العلماء كفقهاء وعلماء في العلوم العقلية، ومن أعلام المنطقة الرحمانيين المعروفين بعلمهم آنذاك هو الشيخ محمد بن أبي القاسم البوجليلي الذي يدير زاويته في ناحية بوجليل على الطريقة الرحمانية إذ انتصب هذا الشيخ للتدريس في زاويته خلال القرن التاسع عشر وبذلك عرفت قرية بوجليل بمنارة الإشعاع الروحي والثقافي في منطقة القبائل[5].

### 3- زاوية سيدي علي بن يحي بذراع الميزان:

---

[1]-محند بن زكري: درس في عدة زوايا منها زواية سيدي عبد الرحمن الإيلولي، في آث غيلاس، اشتغل بالتوظيف، كان مدير المدرسة الثعالبية، أبرز مؤلفاته: "أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا بلاد القبائل"، (أنظر: أبو عبدلي المهدي: "تراجم بعض مشاهير علماء الزواوة القبائل الصغرى والكبرى"، مجلة الأصالة، ع15، الجزائر، 1973، ص 270).

[2]- أحمد طالب الإبراهيمي: "التعليم والثقافة في الجزائر"، مجلة الثقافة، ع4، السنة الأولى، الجزائر، سبتمبر 1971، ص 19.

[3]-الزاوية الرحمانة: أسسها بوقبرين لها عدة تفرعات في منطقة القبائل على الطريق الرحمانية، (أنظر: أمقران يسلي: المرجع السابق، ص 36).

[4]- أحمد درار: "التعليم الأصلي في الجزائر خلال العشر سنوات من استرجاع السيادة"، مجلة الأصالة، ع8، السنة الثانية الثانية الجزائر، ماي -جوان 1972، ص 66.

[5]- علي بطاش: لمحة تاريخية عن تاريخ منطقة القبائل، حياة المقراني والشيخ الحداد وثورة 1871، (د.ط)، دار الأمل الجزائر، 2007، ص 28.

أسسها الشيخ علي بن يحي[1]، بمنطقة ذراع الميزان في القرن الخامس عشر، كان هذا الشيخ يتولى مهمة التدريس بهذه الزاوية ما أدى إلى توافد أعداد كبيرة من الطلاب وحتى العلماء إليها نظرا لأهميتها ولدورها التربوي والتعليمي البارز، إذ لم يكن في ناحية ذراع الميزان إلا هذه الزاوية للتدريس ولتلقي العلوم الدينية ومحو الأمية بين الناس[2]، في وقت ليس للناس من بصيص نور العلم إلا هذه المعاقل، إلى جانب زاوية الشيخ ابن عبد الرحمن الأزهري بجانبها في قرية آث سماعيل والتي تطرقنا إليها فيما سبق وذلك ابتداء من القرن الثامن عشر (18) والتي لم يكن لها حظ الاستمرارية في مواصلة التدريس مع بداية البعثات التبشيرية إلى منطقة القبائل قبل سنة 1857م[3].

وهكذا بقيت زاوية الشيخ علي بن يحي الوحيدة بمنطقة ذراع الميزان وكانت تستقبل الطلبة من مختلف النواحي حتى من قسنطينة وسطيف، البويرة وباتنة وسيدي عيش، إذ يصل عددهم أحيانا إلى 100 طالب يتمتعون بالنظام الداخلي[4].

كان سكان ذراع الميزان يتابعون دراستهم بهذه الزاوية بانتظام ومنها تخرج الكثير من حفظة القرآن الكريم من شباب المنطقة، وغيرهم ممن نزح إليها من النواحي الأخرى، وهم موزعون على القرى المجاورة ليقوموا بالإمامة والتدريس في مساجدها[5].

هكذا كان التعليم الوحيد بهذه المنطقة عربيا إسلاميا.

إضافة إلى مراكز ومعاهد العلم ببجاية والتي نبغ فيها أعلام كثيرون في مختلف العلوم الإسلامية كالفقه والتصوف وكانت مراكز التعليم خلال المرحلة الدراسية وقبلها سواء في المساجد أو في الزوايا التي كانت تؤدي أدوارا تعليمية كبيرة من جهة ودورا دينيا من جهة أخرى، إذ كانت مدينة بجاية في العصر القديم مصدر النهضة العلمية بدون منازع، بحيث

---

[1]–علي بن يحي: هو من عائلة أث طالب علي، أتى إلى دارع الميزان في القرن 15م وأسس بها الزاوية المسماة باسمه هو متصوف مهمته الوحيدة نشر الإسلام والعلم في المنطقة حتى أصبح معروفا قيل أنه جاء من المغرب العربي (أنظر: أمقران يسلي: المرجع السابق، ص 86).

[2]– أمقران يسلي: نفسه، ص 87.

[3]– يحي بوعزيز، ثورة 1871...، المرجع السابق، ص 86.

[4]– أمقران يسلي: المرجع نفسه، ص 88.

[5]– أبو قاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص 350.

كانت همزة وصل بين الأندلس والشرق الإسلامي، إذ كان الأندلسيون يقصدون المرور بها للأخذ من علمائها عند سفرهم إلى المشرق العربي[1].

وبذلك فإن بجابة من الناحية العملية والثقافية ذات شهرة خاصة، وقد برز علما هذه المنطقة في اللغة والخط والنحو والفقه وأبرزهم الشيخ ابن المعطي[2]، صاحب الأجرومية النحوية، ولعل ما تشتهر به هذه المنطقة وتفتخر به هو أنها كانت في عصر من العصور إحدى الجامعيتين الإسلاميتين اللتان زودتا أوروبا بمادة الحساب إذ تعلم بها علماء أجانب من أوروبا خاصة فيما يخص علم الحساب[3].

وقد اعترف الأجانب بتفوق بجاية على باقية مناطق القبائل التي أنجبت علماء وفقهاء ومقرئين لامعين[4].

فإن منطقة القبائل كانت قبل احتلالها تزخر بنشاط ثقافي وبحركة علمية ضمت في كنفها طائفة رجال الفكر والأدب والثقافة وغدت مركزا هاما للعلم والمعرفة واستقطبت عددا لا يحصى من رجال الفن والأدب، وهو ما كان له تأثير بارزا في تأسيس الزوايا في هذه المنطقة.

فالزوايا بالنسبة للسكان لها أهمية كبيرة لأنها بمثابة مدارس ابتدائية وعليا، ومعاهد علمية أسست للتعليم والتعلم، وبذلك فقد كانت العلوم فيها مزدهرة ومتطورة ونسبة لأمية منخفضة جدا شأنها شأن باقي مناطق الجزائر قبل الاحتلال سنة 1830م.

إلاّ أنّ الاحتلال الفرنسي فور دخوله للمنطقة، فبعد أن استحوذ على كل شيء حاول الاستحواذ على عقول الناس وتخريبها وذلك بزرع التعليم الفرنسي في أواسط الشعب سواء كان عن طريق التعليم العام أو التعليم التبشيري في عدة مناطق والتركيز على منطقة القبائل بهدف تفريق القبائل عن الجزائر لتكون عملية السيطرة على البلاد سهلة، وبهذا بدأت فرنسا بنشر سياستها التعليمية بهدف فرنسة الشعب ودمجه بفرنسا وبالثقافة الأوروبية المسيحية وهذا ما سنعالجه في فصول دراستنا.

---

(1)– أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 87.

(2)–ابن معطي: من أشهر علماء منطقة القبائل ينحدر من قرية أث فراوسن من جامع الصهاريج بمقلع، (أنظر: أمقران يسلي: المرجع السابق، ص 64).

(3)– يحي بوعزيز: "ملامح عن قلعة بني حماد وبجاية"، مجلة الأصالة، ع 36، السنة السادسة، ديسمبر– جانفي 1977 ص 17.

(4)-Jean Morizot :L'Algérie Kabylisée, Cahier de l'Afrique et l'Asie, Collection Fondée Robert Montagne en 1948, T6, Ed Peyronnet, 1962, P 103.

# الفصل الأول

# التعليم الفرنسي إبان الاحتلال

## أولا: التعليم التبشيري.

**I- نشاط الإكليروس الديني.**

**II- وسائل التعليم التبشيري.**

## ثانيا: التعليم الفرنسي العام.

**I- المدارس العربية الفرنسية.**

**II- المدارس القبائلية.**

**III- المدارس المهنية.**

سخرت فرنسا التعليم لخدمة أغراضها الاستعمارية، إذ عملت على إيجاد تعليم فرغ الشخصية الجزائرية والقبائلية من مضمونها، وقد ركزت فرنسا جهودها على منطقة القبائل نظرا للخصائص التي تميزها عن باقي المناطق، وبدأ ذلك بزحف المبشرين على المنطقة قبل احتلالها سنة 1857م، وأقاموا تعليما خاص بهم فيها وانتهجوا عدة وسائل لاستقطاب الأطفال وحتى للتأثير على ذويهم، وكل ذلك بهدف إنجاح السياسة التبشيرية بالمنطقة وإثبات مسيحيتها القديمة.

لتأتي بعد ذلك السلطات الفرنسية لتقيم المدارس العمومية في المنطقة متسترتا وراء ستار تعليم الأطفال وتثقيفهم، وقد حرصت المدرسة الفرنسية سواء التبشيرية منها أو الحكومية على نسف مقومات المجتمع القبائلي بضرب الإسلام واللغة العربية وتجهيل السكان، وإفساد أخلاقهم، وتمكين الديانة المسيحية، والثقافة الفرنسية فيها، وخلق سياسة خاصة بها من أجل إنجاح مشروعها الاستعماري وذلك بتطبيق سياسة فرق تسد بهدف فصلها عن الجزائر لتسهيل عملية الاستعمار، وفيما يلي سنستعرض بعض الجوانب عن التعليم التبشيري والتعليم العمومي الفرنسي في منطقة القبائل.

## أولا: التعليم التبشيري.

يعتبر التعليم من أهم الوسائل التي استخدمها المبشرون لإنجاح مشروعهم التنصيري في منطقة القبائل، وقد عرفت المرحلة الأولى من التبشير حتى سنة 1868م عدم تأسيس أي مدرسة من طرف المبشرين في منطقة القبائل، وذلك راجع إلى أن السلطات الفرنسية كانت تمنع المبشرين من القيام بالعمل التبشيري بين صفوف السكان وبالأخص في ميدان التعليم، ولهذا كان الأساقفة والآباء يباشرون مهمة التعليم في أديرتهم وكنائسهم وحتى بيوتهم بينما تعرف الفترة الثانية من التبشير والتي تمتد من (1868 إلى 1881م)، أي بعد تعيين الكاردينال لافيجري أسقفا على الجزائر، البداية الفعلية للتعليم التبشيري في المنطقة وذلك بمساعدة الفرق الدينية التي أسسها لتولي مهمة التبشير بانتهاج عدة وسائل أهمها التعليم.

يعتبر المعلم في التعليم التبشيري الركيزة الأساسية لإنجاح هذا التعليم، فقد سعت القيادات الدينية المسيحية التي عينتها سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر إلى إقامة معاهد خاصة لتكوين هذه المدارس، وقد تجلى ذلك خاصة في عهد الكاردينال لافيجري ابتداء من سنة 1866م، إذ كان تكوين رجال الإكليروس شغله الشاغل، نظرا لأهمية المهمة التي سيقومون بها في منطقة القبائل[1].

كان التعليم التبشيري في منطقة القبائل يقام على عاتق الجمعيات التبشيرية من حيث التسيير والتمويل، إذ أنّ الإدارة الفرنسية لم تتدخل في تسيير هذا التعليم، وقد كانت الجمعيات تعلم سكان المنطقة مجانيا عكس أبناء الكولون، وكان المبشرون يضفون صبغة خاصة بالدين المسيحي بمدارسهم، حيث كانت تعلق على جدرانها صور للمسيح، وصلبان[2]، وذلك للتأثير على عقول الأطفال التي كانت محدودة.

## I. نشاط الإكليروس الديني:

بدأ نشاط الإكليروس الديني في منطقة القبائل بنشاط الجوزويت ثم استمر مع إنشاء الكاردينال لافيجري[3]، لفرقتي الآباء والأخوات البيض.

### 1- نشاطات الجوزويت:

---

[1]- مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص 288.

[2]- محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر (1830- 1904)، دراسة تاريخية تحليلية، (د.ط)، منشورات دحلب، الجزائر، 1997، ص 103.

[3]- لافيجري: هو شارل مارسيال ألمان، (1825- 1892م)، ولد في مدينة بابيون بجنوب فرنسا، تولى منصب أسقف في الجزائر، وأسس فرقة الأباء والأخوات البيض، والتي حملت على عاتقها مهمة التبشير في شمال إفريقيا، عمل كل ما بوسعه لإنجاح مشروع التنصير في الجزائر عامة ومنطقة القبائل خاصة (أنظر: خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830- 1871م)، (د.ط)، دار دحلب، الجزائر، 2007، ص 131).

إن الجوزويت (اليوسوعين)[1]، أول من بلغ منطقة القبائل من المبشرين وأول من حاول استخدام التعليم كوسيلة للتبشير بين سكان منطقة جرجرة، ولقد بلغت جرأتهم في هذا الميدان حدّ أوصلهم إلى تهريب الأطفال من القرى التي أقاموا فيها تعليمهم إلى الجزائر وفرسنا[2].

بعد أن أصبح التبشير عملية حقيقية ملموسة في منطقة القبائل، وذلك بعد إرسال الأب كروزا[3]، من طرف الأسقف بافي[4]، إلى المنطقة لينشر المسيحية مستظلا تحت مظلة التعليم وبناء المدارس للسكان ومساعدتهم، ويدخل نشاط الجوزويت في منطقة القبائل ضمن المرحلة الثانية من التبشير والتي امتدت ما بين (1860- 1867م)، إذ أرسل الأب كروزا إلى المنطقة سنة 1863م، ككاهن بكنيسة صغيرة بحصن نابليون بالأربعاء ناث إيراثن وذلك قصد تنصير سكانها مستهدفا الأطفال لسهولة التأثير على عقولهم الصغيرة[5].

قام الأب كروزا بفتح قاعة للدراسة في منطقة القبائل وبالتحديد في الأربعاء ناث إيراثن، أين جلب إليها الأطفال ليدرسوا ويتعلموا اللغة الفرنسية ومبادئ الدين المسيحي[6].

---

[1]- الجوزويت(Jesuits): رواد التنصير في منطقة القبائل الكبرى، أسسوا عدة مدارس تبشيرية منها في آث يني، جامع الصهاريج ما بين (1883- 1877م)، والتي لقبت توافد كبير من التلاميذ (أنظر: شارل روبير أجيرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، (1871- 1919م)، ج1، تعريب: مرجحا مسعود، وأ.بكي، (د.ط)، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 61).

[2]- أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية، الخلفيات والأهداف، الوسائل والبدائل، ط2، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص 29.

[3]- الأب كروزا: من أبرز المبشرين في منطقة القبائل، وهو من جمعية اليسوعيين، كما أنه خبير في اللسانيات، ويتقن اللغة العربية، وهو أول رجل دين يقوم بنشاط تبشيري في بلاد القبائل وراء أعمال خيرية، (أنظر: مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص 302).

[4]-الأسقف بافي: هو لويس أنطوان بافي، حل بالجزائر في 01 جويلية 1846، كان ديبلوماسيا، ربط علاقات ودية مع السلطة العسكرية حتى يتمكن من نشر المسيحية، استطاع لنيل عطف الجنرال بيجو، (أنظر: ليلى طيار: النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1865- 1892)، منطقة القبائل نموذجا، مذكرة ماستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، قطب شتمة، جامعة بسكرة، 2012- 2013، ص 26.

[5]- مزيان سعيدي: نشاط الكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1899)، ط1، الجزائر، 2009، ص 103.

[6]- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 107.

إلاّ أنّ إدخال الطابع التبشيري المسيحي إلى هذه المدارس أثار غضب السكان، ما أدى بهم إلى طرد الأب كروزا من المنطقة ليكون ذلك سبب لفشل المشروع التنصيري عن طريق التعليم لهذا الأب اليسوعي[1].

إن التعليم التبشير الذي أقامه الجوزويت لم يتجاوز منطقة جرجرة، ولقد أقاموا مدرستين مشهورتين هما: مدرسة جمعة نصاهاريج في بني فراوسن سنة 1873، وأخرى هي مدرسة آث يني في آث لربعاء في سنة 1875[2].

وفيما يلي بعض البيانات حول هاتين المدرستين التي أقامها الجوزويت في منطقة القبائل.

**جدول رقم (01):** يمثل عدد المعلمين المبشرين والتلاميذ القبائليين في العام الدراسي (1876- 1877م)[3]:

| | عدد المعلمين المبشرين | عدد التلاميذ القبائليين |
|---|---|---|
| مدرسة جامع نصهاريج | 04 | 125 |
| مدرسة آث يني | 02 | 30 |

**جدول رقم (02):** يمثل عدد المعلمين المبشرين والتلاميذ القبائليين في العام الدراسي (1877-1878 م)[4]:

| | عدد المعلمين المبشرين | عدد التلاميذ القبائليين |
|---|---|---|
| مدرسة جامع نصهاريج | 04 | 189 |
| مدرسة آث يني | 02 | 29 |

[1]- مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص 304.

[2]- RAMBAUD. A : L'enseignement Primaire Chez Les Indigènes d'Algérie Et Notamment En Grande Kabylie, 1892, P 67.

[3]- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 113.

[4]- محمد الطاهر وعلي: المرجع نفسه، ص 113.

مما سبق نلاحظ تزايد عدد التلاميذ الوافدين على مدرسة جامع نصهاريج، في الفترة الممتدة ما بين (1876- و 1878م)، بينما ينخفض عددهم في مدرسة بني يني.

من هنا نستنتج أن مدرسة **جامع نصهاريج** هي أهم مؤسسة للجوزويت في منطقة القبائل، ولقد كانت هذه المدرسة ذات إنشاء عمراني فخم، إذ هي متوفرة على عدة مرافق تساعد على إغراء الأطفال كالألعاب والحدائق، بالإضافة إلى المعاملة الطيبة التي يتلقاها التلاميذ القبائليين من طرف المعلمين المبشرين[1].

**2-نشاط الآباء والأخوات البيض:**

تعتبر جمعية الآباء البيض[2] والأخوات البيض[3] التي أسسها لافيجري في الجزائر أهم جمعية تحمست لتنصير الشعب القبائلي عن طريق المدرسة.

يطلق على هذه الفئة بمبشري السيدة الإفريقية، ولها أهمية كبيرة سواء في منطقة القبائل أو في الجزائر كلها، كونها أول جمعية مسيحية تبشيرية نشأت على أرض إسلامية عربية عبر التاريخ[4].

تكمن المناطق الأولى التي نزل فيها الآباء البيض بمنطقة القبائل في قرية تغمونت عزوز ببني دوالة، توريرث عبد الله بواضية، آث لربعاء بآث يني، واغزن في آث منقلات آث سماعيل، جمعة نصهاريج ببني فراوسن، إغيل علي في آث عباس، وقد تمركزوا عموما بها في سنة 1872م، وقد كان عددهم في البداية ضئيل جدا، لا يتجاوز مثلا في واضية مبشران، وبرفقتهما رجل يحمل أمتعتهما، وقدمها هذا الرجل لسكان واضية قائلا:"**هئم ك نجلإم لخطئم لزي حبئم هدلئ لإي فخئم لحئنا بخيمئ هلإ عئخئتمئ... هدلئ ك لئم قلخئم... هيكلئم آلمئمئ**...."، وقد ارتفع عدد الآباء البيض حتى أصبحوا منتشرين في معظم بلاد القبائل، ولمساعداتهم في نشاطهم الخاص بالبنات اعتمدوا على المبشرات (لأخوات البيض)[5].

---

[1]- مقابلة شخصية مع محمد وعلي نايت جودي: أستاذ اللغة الفرنسية وموظف في المركز الإسلامي، بتيزي وزو، **قوبل** في 25 أفريل 2017، هي الساعة 11:00 في المركز الإسلامي.

[2]-الآباء البيض: فرقة تنصيرية أسسها لافيجري في 1869/02/02، بمباركة كنيسة السيدة الإفريقية، أطلق عليها هذا الاسم بنسبة إلى اللباس الأبيض الذي يلبسه مبشيروها، ليشابهوا اللباس العربي الإسلامي، ولهم الدور الرئيسي في التعليم التبشيري في منطقة القبائل (للمزيد أنظر: أجيرون: المرجع السابق، ص 305).

[3]-الأخوات البيض: يعود تأسيسها إلى 1869/09/02 من قبل لافيجري، وقد حملت عدة تسميات منها أخوات جمعية السيدة الإفريقية، لها دور كبير في عملية تعليم البنات في منطقة القبائل، (للمزيد أنظر: خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 124).

[4]-محمد الطاهري وعلي: المرجع السابق، ص 114.

[5]- ELIE. G : La Kabylie du Djurdjura et les Pères Blancs, Ed, Desoyes, Paris, 1923, P 36.

لقد سعى الآباء والأخوات البيض متعاونين في كثير من المرات إلى تنصير سكان منطقة القبائل، وذلك عن طريق نشر المذهب الكاثوليكي[1]، في المدارس التبشيرية في المنطقة، إذ تمثل هذه الجمعية نواة التعليم التبشيري حيث ركزوا جهودهم في هذا المجال باتخاذ مجالين، الأول يتمثل في تكوين معلمين مبشرين للتعليم، والثاني يتمثل في تأسيس المدارس لاستقبال أبناء السكان بها[2].

ونظرا للدور الذي تلعبه المدرسة في مجال التبشير، فإن الكاردينال لافيجري أوصى جمعية الآباء والأخوات البيض بتركيز الجهود عليها باعتبارها تملك الطفل وتتحكم في مستقبله، وانطلاقا من هذه الوصية أسس المبشرون مدارس في كل مراكزهم[3].

ومن أهم المراكز التبشيرية التي أنشأتها الجمعيات الدينية في منطقة القبائل والتي كانت بمثابة مدارس لتلقين اللغة الفرنسية والديانة المسيحية[4]، في المنطقة نذكر ما يلي:

- مركز آث يني الذي كان لليسوعيين ابتداء من عام 1872م، ثم تسلمه من طرف جمعية الآباء البيض في 1883م.
- تغمونت عزوز، أنشأ سنة 1873م في بني دوالة، وقد أشرف عليه أربعة مبشرين.
- توريرت عبد الله، سنة 1873م في آث واضو، به ثلاثة مبشرين.
- إغيل علي، في سنة 1877م، وهي مدرسة أخليت بعد ثورة المقراني.
- مركز واضية في 1877م.

---

[1]–المذهب الكاثوليكي: مذهب مسيحي مركزه مدينة الفاتيكان، يعتبر المذهب الذي سار عليه لافيجري في منطقة القبائل، ( للمزيد أنظر: خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص77.)

[2]- RAMBAUD. A : Op.cit, P 09.

[3]– خديجة بقطاش: المرجع نفسه، ص 160.

[4]– المسيحية: هي الديانة التي جاء بها المسيح عيسى عليه السلام، وهي ديانة تخالف الدين الإسلامي مع أن مصدرها واحد (أنظر: مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج1، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 294).

- جامع الصهاريج سنة 1883م، والتي أخليت من طرف الجوزويت، وأعاد فتحها من طرف الآباء البيض سنة 1886م، ثم سلموها إلى الأخوات البيض سنة 1887م[1].
- مركز آث لربعاء في سنة 1883م، كان للجيزويت ثم استلمه الآباء البيض [2].

وقد استغل المبشرون المدارس لإنجاح نشاطهم التبشيري في المنطقة بالتركيز على العنصر الأساسي في المجتمع، ألا وهو الطفل ويعود اهتمامهم بالأطفال إلى جملة من الأسباب يمكن إجمالها فيما يلي:

إذ أنه عن طريق المدرسة يمكن للمبشرين أن يحتكوا بالسكان والتغلب على المشاكل الرئيسية التي تواجههم، كالتعصب لدينهم، وسهولة التأثير على الأطفال وتلقينهم مبادئ النصرانية لكونهم لم يتشبعوا من دينهم الإسلام، ولم يصل النمو العقلي عندهم إلى مستوى يمكنهم عن اكتشاف نوايا المبشرين التنصيرية[3]، واعتبار البرامج الدراسية الوسيلة التي بواسطتها يستخدم التعليم للتبشير.

### 3-أنماط التعليم التبشيري:

لقد تنوع التعليم التبشيري بتنوع أنماط المدارس، حيث نجد المدارس التي أقامها المبشرين لتعليم الفنون والمهن من جهة والمدارس الدينية العامة من جهة أخرى، فبالنسبة للأولى فهي الأكثر انتشارا في منطقة القبائل، أين يتم اكساب الأطفال بعض المهن والحرف التي كانت شائعة في ذلك الوقت، وقد انقسم التعليم المهني الذي أقامه المبشرون إلى نوعين: تعليم موجه للذكور وآخر موجه للإناث[4].

فأما التعليم الأول فقد خص به يتامى مجاعة سنة 1867م، وبشكل كبير مجاعة عام 1893م، التي أصابت منطقة القبائل بشكل رهيب، وقد غلب على هذا النمط من التعليم

---

[1]- SLIMANI DIRECH. K : Chrétiens du Kabylie (1873- 1954) une action missionnaire dans l'Algérie coloniale, Ed Bouchene, Paris, 2004, PP 43- 45.

[2]-خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 159.

[3]- ليلى طيار: المرجع السابق، ص ص 37-38.

[4]- مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية... المرجع السابق، ص 281.

الطابع الزراعي والفلاحي، وكل ما يحتاج إليه الفلاح من معارف في ميدان التجارة والحدادة والإسكافية والبناء وتربية الحيوانات وزراعة الأراضي، وقد قام لافيجري بإرسال ما يقرب من (550) يتيم من كل الجزائر ما بين (1871-1870) لتعلم الحرف المختلفة بها[1].

أما التعليم الثاني الموجه للبنات، فقد كان يقوم على تعليم الإناث فنون التدبير المنزلي، وما يحتويه من أشغال الخياطة والطبخ والطرز، وحتى أشغال الصوف، وقد أشرف على تعليمهن الأخوات البيض.

فمثلا فيما يخص الطبخ فقد تم تعليمهن الأصناف المتنوعة من المأكولات وذلك بالتركيز على استعمال المواد الأولية التي يحبها السكان.

وفيما يخص الحرف فتعلمهن صناعة السلال والقفف، وللإشهار لأعمالهن يتم عرضها في معارض خاصة، تقام في مدارس المبشرات، وذلك بهدف رفع معنويات البنات وإغراء الأخريات للالتحاق بالمراكز، ومن أهم هذه المدارس نجد مركز آث هيشم الذي زاولته فتيات المنطقة بشكل كبير لتعلم الحرف المختلفة، كالزرابي والفخار...[2].

وفيما يخص التعليم التبشيري العام، فهو تعليم اهتم فيه المبشرون بتلقين بعض العلوم النظرية إلى جانب اللغة الفرنسية للأطفال، وقد ركزوا نشاطهم فقط على المدارس الابتدائية إذ أنهم لم يقيموا ثانويات خاصة بالسكان، وكانت البرامج التعليمية في هذه المدارس العامة ضعيفة جدا في مستواها، حيث لا يتعدى المبادئ العامة للغة الفرنسية في نحوها وصرفها وبعض العمليات في الحساب[3].

هذا الضعف في البرنامج راجع إلى الهدف الحقيقي لهذه المدارس إذ أنها لا ترمي إلى إكساب الأطفال العلم والمعرفة، بل يكفيهم أن يجيدوا فهم ما يمكن أن يؤمروا به من

---

[1]- محمد الطاهري وعلي:المرجع السابق، ص 126.

[2]- Remond. M.: Au cour de pays Kabyle, la Kabylie touristique illustrée des années trente. préface d'Agustín Bernardi, Ed Zyriba, Alger, 2001, P 84

[3]- REMOND. M: Ibid, P 87.

طرف المحتلين، وكان الأهم والأخطر في برامج التعليم عند المبشرين هو دسهم لتعاليم المسيحية في هذه البرامج، وذلك يكون على شكل نصوص تدرس للتلاميذ وهو نوع من التبشير الغير مباشر[1]، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ بورجوا (Bourgeois) عن التعليم التبشيري في منطقة القبائل: "ﻢﻫ ﺎﻋ ﺎﻠﺨﻧ ﺰﻠﺘﻣ ﻲﻘﻠﺨﻫ ﺪﻣﺪﻠﻛﻟﺎﻠﻳ ﺪﻟﺰﺘﺨﺷﺪﺑ ﻠﻣ ﻠﻘﺘﺪﻟ ﺎﻠﻛ ﺎﻠﺨﻧ ﺰ ﻫﺪﻟ ﺨﻘﺰﺘﻟﺎﻫﻳ ﺘﺨﻛﺪﻟ ﻘﺘﺋﺪﻟ ﺘﺨﻴﻴﺑ ﻠﺰﻳﺠﻳﺑ"[2].

وهكذا كان المبشرون في الجزائر عامة وفي منطقة القبائل خاصة يرمون وراء تدريسهم في هذه المدارس إلى نشر المسيحية عن طريق تلقين مبادئها للأطفال بهدف إبعادهم عن الدين الإسلامي.

إذن من المعلوم أن التعليم التبشيري سبق التعليم العمومي في تأسيسه إذ أنه قبل ظهور هذا الأخير في منطقة القبائل كان التلاميذ المتخرجون من مدارس المبشرين يوظفون من طرف المبشرين أنفسهم، وذلك ليبقوا على اتصال دائم بهم، غير أنه بتأسيس التعليم العمومي مال الأطفال نحوى هذه المدارس العمومية، وذلك طمعا فيهم بالحصول على وظائف في تلك المدارس، بخلاف المتخرجين من المدارس التبشيرية إذ ترفض السلطات المدنية توظيفهم[3].

لقد نجحت مدارس المبشرين نوعا ما في جلب القليل من الأطفال إلى مدارسهم وذلك بعد السيطرة على عقولهم، والتأثير على ذويهم بواسطة الأعمال الخيرية وكل أساليب الإغراء المتاحة لهم.

## II- وسائل التعليم التبشيري:

[1]- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 128.

[2]- BOURGEOIS. H:Rapport d'ensemble sur l'état de l'instruction primaire en Algérie, Paris, 1880, PP 72, 73.

[3]-Ait Mansour. F: Histoire de ma vie, Ed Mehdi, Alger, 2009, P 62.

استعمل المبشرون في منطقة القبائل عدة وسائل وأساليب لإغراء الأطفال للقدوم إلى مدارسهم، والتأثير على أوليائهم حتى لا يتمتعون عن إرسال أبنائهم إلى مدارس المبشرين أو تركهم عن تصرف الآباء والأخوات البيض، ومن أهم هذه الأساليب نذكر:

### 1. وسيلة الأعمال الخيرية:

حيث رأى الكاردينال لافيجري وأتباعه أنها أفضل وسيلة لإنجاح المشروع التعليمي في المنطقة في قوله:" زئ غ ي ط ق ؟...ؤ ل ك ت س ن ف م ق خ ف ه خ ل ط ل ي ح ب "[1].

وبعد ذلك أصبحوا يدخلون أوساط الأسر بعد التأثير على أبنائهم حتى أنهم أصبحوا يقرؤون الرسائل للآباء ويتدخلون في الشؤون الأسرية، فبعد إرسال الأب كروزا إلى المنطقة سنة 1863م، والذي قام بالانخراط مع السكان واستمالتهم بمختلف مشاريعه الإغرائية، إذ حث على توزيع الملابس والغذاء ليس فقط على الأطفال في المدارس، وإنما على أسرهم أيضا ليتم التأثير عليهم واستمالتهم، إضافة إلى إقامة مراكز للأعمال الخيرية كمركز آث يني وبني فراح[2].

### 2- دور الأيتام:

لقد استغل الكاردينال لافيجري المتعصب سنوات المجاعة، وعمليات القمع التي أعقبت الانتفاضات الشعبية، فجمع ما بين سنتي (1867-1868)، عدد كبيرا من الأطفال الأيتام، أكثرهم لا يزيد عمرهم عن عشر سنوات، وقد وصل عددهم الإجمالي إلى 1750 طفل من الصبية والفتيات، وتوفي منهم حوالي 600 طفل بين مخالب الكاردينال، وتم تهريب حوالي 300 طفل إلى فرنسا وتوزيع الباقي في مختلف أقطار الوطن[3]. وذلك بعد قيامه بإقامة عدة مراكز لهؤلاء الأيتام.

---

[1]- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 159.

[2]- مزيان سعيدي: النشاط التبشيري...، المرجع السابق، ص 303.

[3]- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية، والعولمة والعلمية، (د.ط)، دار ثالة، الجزائر، 2007، ص 215.

وقام ببناء ملاجئ لهؤلاء اليتامى، وقرر تربيتهم تربية مسيحية وتعليمهم تعليم خاص بهم بهدف إدماجهم بالمجتمع المسيحي[1].

إلاّ أنّ مشروع إدخال المسيحية إلى التعليم لقي معارضة من طرف السلطات الفرنسية وخاصة من طرف الحاكم العام مكماهون[2]، الذي عارض هذا العمل بشدة وذلك تخوفا من غضب سكان المنطقة ومقاومتهم العنيفة، وبهذا قد حذر الأسقف لافيجري قائلاً: "إنّ عمل يلاقي معارضة شديدة من طرف الحكومة الفرنسية... كيف يمكن إدخال المسيحية في نفوس الأطفال المسلمين" فرد لافيجري بعنف على مكماهون قائلا: "ما هو دورك؟ يجب عليك الاهتمام بشؤونك الخاصة وترك الأمور الدينية لي، وأنا أعرف ما يجب فعله" ، وفي الواقع إنّ الأولياء لم يطالبوا بأطفالهم الذين استولى عليهم الكاردينال[3].

ومن أهم دور اليتامى التي أقامها نجد ميتم برج نابليون بفورناسيونال في سنة 1869، وقد قام الكاردينال لافيجري بتزويج معظم هؤلاء اليتامى الذين بلغوا سن الرشد ومنح كل أسرة عشرين هكتار صالحة للزراعة، ونزلا يتألف من غرفتين أو ثلاثة غرف ومنحهم نفوذ في كل المنطقة[4].

### 3- تقديم الحلوى والنقود:

إنّ حب الأطفال للحلوى معروف، لذلك عمد المبشرون إلى توزيع الحلوى عليهم كلما ذهبوا إلى زيارة الأهالي[5]، إضافة إلى استخدام النقود في تعاملهم مع الأطفال، وذلك في

---

(1)- عبد الجليل التميمي: "الحركة التبشيرية في تونس"، مجلة الأصالة، ع30، جانفي- فيفري 1976، ص 116.

(2)- مكماهون: مارشال فرنسا، وحاكم عام للجزائر، ولد سنة 1808، أصبح كولونيل عام 1825، ثم كولونيل في عام 1845، ثم جنرال في 1845، قاد الحملة العسكرية على ميلة احتل منطقة القبائل (أنظر: كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطوير (1850- 1951)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2007- 2008، ص 47).

(3)- أبو عمران الشيخ: قضايا في الثقافة والتاريخ، ط3، دار ثالة، الجزائر، 2007، ص 116.

(4)- عبد الرؤوف فرناب: جهود علماء الجزائر في الرّد على التنصير إباناالاحتلال الفرنسي (1830- 1962)، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر1، 2014- 2015، ص 106.

(5)- مزيان سعيدي: السياسية الاستعمارية الفرنسية...، المرجع السابق، ص 309.

عدة حالات بغية إغراء التلاميذ واستقطابهم لزملائهم إلى مدارس المبشرين ومن أمثلة ذلك ما يقومون به في مدرسة إغيل علي فقد كان نظام تقديم النقود متبع كما يلي:

- يمنحون للأطفال الذين يغتسلون (سنتيم واحد).
- للمجتهدين والمثابرين (سنتيم واحد).
- التلميذ الذي يواظب على الدراسة طيلة الأسبوع (ثلاثة سنتينمات).
- خصم سنتينين ونصف من كل تلميذ يغيب عن المدرسة.
- خصم سنتيم واحد من رصيد كل تلميذ يغيب عن حصة المطالعة.

كما كان يمنح للتلاميذ مرتب شهري من طرف المبشرين بعد مزاولتهم المستمرة للدروس، الأمر الذي جعل أوليائهم لا يمانعون من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس[1].

**4-الألعاب وأوراق الينا صيب:**

لقد أقام المبشرون في فناء المدارس ألعاب رياضية وأراجيح تكون في متناول جميع أطفال القرية[2]، يومي العطلة الأسبوعية للمبشرين في المدرسة والذي كان في السبت والأحد ومما لاشك فيه أن فضول الأطفال سيدفعهم إلى الذهاب إلى المدرسة، حتى ولو أنهم لم يحضروا إليها من قبل[3]، إضافة إلى منح كل طفل يزاول المدرسة لمدة عشرين يوما في الشهر ورقة يناصيب مجانية، كما تقام معارض من طرف المبشرات، لأعمال التلميذات من أشغال تعلمانهن في المدارس تحت إشراف الأخوات البيض، وذلك ما جعل أمهاتهن يقبلن إرسال بناتهن إلى المبشرات[4].

---

[1]- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص ص 83-84.

[*]- لقد لاحظنا بقايا لثمل هذه الألعاب في المدرسة الابتدائية بوسبعين سعيد التي أقامتها فرنسا في قرية معمر ببلدية ودائرة ذراع الميزان.

[3]- مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية... المرجع السابق، ص 310.

[4]- محمد الطاهر وعلي: المرجع نفسه، ص 84.

إضافة إلى توفير المأوى والطعام للأطفال الذين يسكنون بعيدا عن المدرسة واليتامى منهم خاصة، ولم يكن ذلك رأفة من المبشرين وإنما لإبقاء الأطفال أطول مدة ممكنة معهم ليؤثروا عليهم[1]، لضمان نجاح مشروعهم الحقيقي الذي يرمي إلى تبشير المنطقة بعد السيطرة على عقول الأطفال ويبرز ذلك في وسيلة أخرى تجلّت في إقامة الحفلات المدرسية في أيام الأعياد الدينية المسيحية، أين يتم توزيع الهدايا على الأطفال لما لها من تأثير على نفوسهم، ما ينتج للمبشرين رجالا تعتمد عليهم الكنيسة في المستقبل[2].

**5- تهريب الأطفال:**

لم يكتفي المبشرون في منطقة القبائل بتوفير المأوى والغذاء للأطفال قصد عزلهم عن عائلاتهم وتنصيرهم، بل سعوا كذلك إلى تهريب البعض منهم خاصة الأيتام إلى أديرتهم في الجزائر العاصمة وحتى إلى فرنسا[3]، وقد أدت هذه الوسيلة إلى إصدار أمر من طرف السلطات الفرنسية أين أمروا بمغادرة المبشرين لمنطقة القبائل، وإغلاق مدارسهم بسبب كثرة الشكاوي التي تلقوها من السكان حول ممارسات الجمعيات التبشيرية[4].

ومن أهم الوسائل الأخرى التي استخدمها المبشرين للسيطرة على عقول الأطفال هي تعلم اللغة العربية والقبائلية لتسهيل عملية التخاطب فيما بينهم، وقد قام هؤلاء بتلقين الأطفال وخاصة اليتامى منهم الحرف والمهن التي يحتاج إليها المستوطنون وذلك لاستخدامهم لأغراضهم الخاصة، خاصة فيما يخص زراعة الحقول، الحدادة، الإسكافية وتربية الحيوانات[5].

بالإضافة إلى استخدام عدة كتب أجنبية تدعوا إلى إحياء اللغة القبائلية المحلية، ومن أهم هذه الكتب، قاموس فرنسي عربي في سنة 1898م، الأناجيل في سنة 1900م،

---

[1]- خالد مصطفى وعمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، (د.ط)، المكتبة العصرية للنشر، بيروت، 1973، ص 64.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 64-65.

[3]- SLIMANI DIRECH. K: Op.Cit, P 105.

[4]- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 188.

[5]- AITH MANSOUR .F: Op.Cit, P 33.

مختصر العقيدة المسيحية فرنسي قبائلي في سنة 1904م، وهذا لضمان إطلاع القبائل عليها ويتأثروا بها لما يوجد فيها من نصائح لافيجري ودعوته للعودة إلى الدين المسيحي دين الأجداد حسبهم[1].

منه فإن الجمعيات التبشيرية استخدمت كل الوسائل المتاحة للسيطرة على عقول الأطفال، ومنهم على عقول الكبار، وذلك كله لضمان نجاح المشروع التبشيري لهم في منطقة القبائل، والذي اتخذ التعليم أكبر وسيلة لإنجاحه واستمراريته وتناقل المسيحية من جيل لآخر.

## ثانيا: التعليم الفرنسي العام في المنطقة.

بعد فتح المجال أمام الجمعيات التبشيرية لنشر رسالتها في منطقة القبائل عن طريق تأسيس المدارس الدينية بها، وذلك ابتداء من سنة 1873م بمعية الجوزويت، وفرقة جمعية السيدة الإفريقية بقيادة الكاردينال لافيجري، بدأ تطبيق التعليم العام الفرنسي[2]، الذي أنشأته الإدارة الفرنسية في المنطقة والذي يعتبر عقبة للمبشرين في بادئ الأمر، إذ نشب صراع كبير بين النظامين، والذي انتهى بالتحالف بينهما.

لقد كانت الإدارة الفرنسية تولي اهتمامها الكبير بمنطقة القبائل منذ اِحتلالها في 1857م، إلاّ أنه بعد تغيير الحكم الفرنسي في الجزائر من الحكم العسكري إلى المدني بعد سقوط الإمبراطورية الثالثة في سنة 1870م، اشتد اهتمام الفرنسيين بالجانب التعليمي في المنطقة، بل أن أول مشروع للجمهوريين في إطار السياسة التعليمية كان موجها للمنطقة دون غيرها[3].

---

[1]– مزيان سعيدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية... المرجع السابق، ص 311.

[2]– التعليم الفرنسي العام: هو ذلك التعليم الذي تشرف عليه الإدارة الفرنسية، سواء كان باللغة الفرنسية، أو باللغة العربية أو باللغتين معًا، سواء كان تعليمًا منفصلا بين أبناء المستوطنين وأبناء الجزائر أو تعليما مندمجا، ( للمزيد أنظر:
KODIR. A : Histoire du système d'enseignement colonial en Algérie, httpw://books, open edition.org. le 22/03/2017.

[3]– عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، دار الأمة، الجزائر، 2013 ص 54.

وقد حاول هؤلاء من خلال تركيزهم على هذه المنطقة إبراز الهوية القبائلية واعتبارها الأصلية في الجزائر، مع إنكار الهوية العربية واعتبارها الدخيلة والغازية، ووجهت هذه الجهود إلى المنطقة القبائلية المكتظة بالسكان، خاصة المدن الكبرى الأكثر ملائمة لنجاح عملية الغزو الثقافي، والهيمنة الاستعمارية[1].

أقيمت في منطقة القبائل عدة أنواع من المدارس الفرنسية سواء المختلطة أو الغير مختلطة، وتتمثل هذه المدارس فيما يلي:

## I- المدارس العربية الفرنسية:

تبنت فرنسا سياسة التعليم المزدوج (عربي – فرنسي) وذلك لإغراء القبائل والسيطرة على عقولهم قصد إدماجهم في الثقافة الفرنسية، وفصلهم عن الجزائر العربية، وسلخهم عن الشخصية الإسلامية.

فبعد قيامها بتجميد حركة التعليم التقليدي في المنطقة، لم تترك أمام التلاميذ إلاّ باب واحد هو باب المدارس الفرنسية، حيث كان بعض التلاميذ مضطرين إلى الدراسة فيها ومضطرين بذلك لإنشاد النشيد الفرنسي (المارسيلاز)، وهذا ما جعل الإقبال عليها ضعيف جدا، إذ أنه لم يكن للمدرسة الفرنسية تأثير كبير على الرأي العام في منطقة القبائل، حيث بقي مرتبطا بتعليمه التقليدي[2].

كانت المدارس العربية–الفرنسية حتى سنة 1875م تمثل مؤسسة تربوية خاصة وكان تسجيل التلاميذ بها واختيارهم من مهام المكاتب العربية[3].[4]

---

[1]–شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 275.

[2]– محفوظ قداش: جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر (1830– 1954)، ترجمة: محمد المعراجي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص 181.

[3]– المكاتب العربية: هي عبارة عن تنظيمات شبه عسكرية، تعمل في إطار مزدوج، اجتماعي ونفسي، أوجدت فرنسا خمسة مكاتب في الجزائر، كل واحد منها متخصص في أدوار هامة (أنظر: عمار جرمان: الحقيقة، مذكرات عن ثورة التحرير الوطني وما بعد الاستقلال، (د.ط)، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 216).

[4]- Colonna. F: Les instituteurs Algériens (1883- 1939), Ed OPU, Alger, 1975, P 55.

كان الغرض من التعليم العربي الفرنسي هو تحويل المجتمع القبائلي، تحويلا كليا لخدمة مصالح المحتل، ولهذا انتهجت السلطات الفرنسية سياسة الإدماج وارتأت أن التعليم العربي الفرنسي أحسن وسيلة لتلقين الناس مواد جديدة في التفكير والسلوك، وكتب جون هاري[1] في هذا الصدد قائلا: ﴿ﻢ آﺣﺰ ﻢ ﻫﺰﻳﻜﺒﻚﺗﻘﻲﻳﺬﻚﺳﻌﻫ ﺍﻚﺍﻟﺨﻘﻲﺑ ﻏﻰ ﺍﺰﺗﻊﻟﻈﺘﻤﺌ ﻫﺠﻴﻜﺍﻟ ﺁﻗﺘﺬ ﻫﻟﻹ؟ ﻏﻰ ﺨﺦﻟﺘﻫﺍﻟﻚ ﻟﺴﺌﻘﻲﻴﻌﺌ ﻫﻫ ﺁ ﻢ ﻗﻫﻫﻟ ﺍﻟﺘﻤﺴﺒﺐ ﺁﻟﻤﺌ؟ﻱﺌﺁ ﻟﻚ ﻰ ﻋﺦﻴﻄﻘﻒﻚ ﺑ ﻫﺁ ﻢ ﻣﺘﻲﺠﻚ ﻫﻟﻄﻒ ﺬﺷﺪﺑﻚ ﻟﻌﺌﺴﺪﺗﻤﺌ...ˇ ﻓﺔﺠﻚ ﺬ ﻟﻤﺼﻴﻄﻚ ﻟﺨﺌﺬ ﺯˇﻚ ﻗﻰ ﺗﺘﻘﻲ . ﻏﻤﺌ ﻗﻴﻚ ﻫﻟ ﺣﺰ ﺍ ﻟﺌ ﻣﻔﺨﻲ...﴾ [2].

وقد عملت فرنسا على حصر هذا التعليم في أقلية محدودة تتوسط بينهم وبين أقلية السكان، إذ أنه ليس موجه إلى جميع فئات المجتمع القبائلي[3].

فتحت السلطات الفرنسية أول مدرسة عربية–فرنسية في مدينة تيزي وزو، والتي أنشأت في عهد الإمبراطورية الثانية، وقد اتسمت هذه المدرسة بالضعف إلى غاية سنة 1870م ليتوقف نشاطها بعد ثورة 1871م، وأغلقت أبوابها في سنة 1873م[4].

أقامت فرنسا هذا النمط من المدارس في المنطقة نظرا لما تحتاجه من الموظفين والمعلمين لإنجاح هدفها الأسمى وهو إدماج السكان بفرنسا وكانت مهمتها تتجسد في تعليم أبناء المنطقة، المواد الأولية من اللغة الفرنسية والكتابة والحساب كما في فرنسا، إضافة إلى اللغة العربية، ويشرف على التدريس بها أساتذة فرنسيون[5]، وبعد انتفاضة عام 1871م قامت البلديات الكاملة الصلاحيات بغلق المدارس العربية الفرنسية، وتعويضها بالمدارس

---

[1]– جون هاري: فرنسي الأصل، عمل كمدير للتعليم في الجزائر، صاحب نظرية استعمارية في التعليم، (للمزيد أنظر: أمقران يسلي: المرجع السابق، ص 58).

[2]– مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...، المرجع السابق، ص 311.

[3]– كمال ريسيلير: السياسة الفرنسية بالجزائر، ترجمة ندير طيار، ط1، دار كتابات جديدة للنشر، (د.ب.ن)، 2016، ص 233.

[4]– مزيان سعيدي: المرجع نفسه، ص 281.

[5]– أبو عمران الشيخ: المرجع السابق، ص ص 106.

البلدية وذلك بعد إظهار الجمهوريين سخطهم من تعليم الأهالي، ومن أبرز الشخصيات المعارضة لهذا النمط من المدارس هو الحاكم العام الأميرال ديقيدون[1]، وبهذا تم غلق مدرسة تيزي وزو سنة 1873م وتحويل تلاميذها إلى المدرسة الفرنسية للدراسة مع أبناء الكولون[2].

## II- المدارس القبائلية:

لقد اِتخذت السياسة التعليمية الفرنسية منذ 02/12/ 1873م طابعا رسميا، وذلك باقتراح من قائد دائرة فورناسيونال على الحاكم العام ديقيدون يقضي بفرنسة القبائل وإلغاء المدارس العربية الفرنسية نهائيا والقضاء على نشاط الزوايا وجعلها تحت السلطة الفرنسية[3].

وبذلك قام الحاكم العام ببرمجة مشروع إنشاء مدرستين أو ثلاث مدارس فرنسية في منطقة القبائل وذلك بطلب من أعيان المنطقة، تكون أعبائها المالية على عاتق البلديات الأهلية، وفي سنة 1882م، كلف السيد إميل ماسكاراي أحد المتحمسين للتعليم الفرنسي في المنطقة، بإجراء حوار مع السكان لمعرفة موقفهم من التعليم، والذي وصل إلى النتائج التالية (51 صوتا مع التعليم الفرنسي و16 صوت ضده) ولكن هذا القبول كان بشرط أن يدرسهم جزائريين في اللغة العربية[4].

وبهذا تم وضع برنامج عمل يستهدف إنشاء ثماني (08) مدارس ابتدائية عمومية تكون تحت إشراف الحكومة وهي ما تعرف بالمدارس الوزارية، وذلك بقرار من وزير التعليم

---

[1]- ديقيدون: (1809- 1886): تخرج من المدرسة العسكرية في سنة 1830م، أصبح حاكما عاما على الجزائر عام 1871، نظم الإدارة في منطقة القبائل، بعد الهدوء الذي عرفته المنطقة بعد انتفاضة 1871م، (أنظر: كمال خليل: المرجع السابق، ص 57).

[2]- مزهورة حسين الحاج: المرجع السابق، ص 84.

[3]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 593.

[4]- مزيان سعيدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية...المرجع السابق، ص 283.

جول فيري[1]، إذ يقوم بالتدريس فيها أساتذة فرنسيون يساعدهم جزائريون لتعليم القرآن وذلك تحت المراقبة الفرنسية وهذا كله من أجل ضمان استمراريتها وكسب ثقة التلاميذ، وثقة وأوليائهم[2]، لقد كانت هذه المدارس فرنسية الشكل والمضمون، ومن أشهر المدارس القبائلية التي أقامتها السلطات الفرنسية نجد مدرسة تيزي وزو، تيزي راشد، جمعة صهاريج، توريرت ميمون، فورناسيونال، ميشلي، ثمازيرث، ونورد في الجدول التالي بعض الإحصائيات الفرنسية حول هذه المدارس.

جدول يمثل عدد لأطفال المسجلين والمتمدرسين في المدارس القبائلية[3]:

| | عدد المسجلين | عدد المتمدرسين |
|---|---|---|
| **تيزي راشد** | 138 | 92 |
| **جمعة نصهاريج** | 196 | 176 |
| **توريرت ميمون** | 133 | 121 |
| **إغيل إيمولا** | 84 | 67 |
| **فورناسيونال** | 65 | 35 |
| **ميشلي** | 60 | 55 |
| **ثمازيرث** | 190 | 146 |

نلاحظ من هذه الإحصائيات عدم إقبال التلاميذ على الدراسة رغم تسجيلهم في هذه المدارس، وذلك راجع إلى النمط الاستعماري لهذه المدارس، وللظروف القاهرة التي كانت يعيشها سكان المنطقة من فقر وعوز.

[1]– جول فيري: (1832– 1893): محامي ورجل سياسي فرنسي، نائب جمهوري في أواخر 1883م، شغل منصب رئيس بلدية باريس، ثم عين وزيرا للتعليم العمومي سنة 1879، أصدر عدة مراسيم تخص إصلاح التعليم في الجزائر، (للمزيد أنظر: كمال خليل: المرجع نفسه، ص 18).

[2]– عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 86.

[3]- RAMBAUD. A: Op.Cit, P 67.

**1- التعليم الابتدائي:** لقد ركزت فرنسا على التعليم الابتدائي لأبناء المنطقة بشكل كبير، بينما فئة قليلة لها الحظ في مزاولة التعليم الثانوي، وكان جول فيري من أكثر الساسة الفرنسيين اِهتماما بمسألة التعليم الابتدائي للأطفال فبمقتضى مرسوم 13 فيفري 1883م أصبح التعليم الابتدائي مجانيا وإجباريا في كل الجزائر[1].

كانت مهمة المدارس الابتدائية الفرنسية بالدرجة الأولى تتمثل في تلقين المعارف القاعدية، ومبادئ اللغة الفرنسية، ولكن ليس هناك أي إحصائيات تتعلق بمدى استعمال اللغة الفرنسية، بل كل ما عرف أنها انتشرت في كل مناطق بلاد القبائل، إذ تعلم العديد من أطفال المنطقة اللغة الفرنسية والمبادئ الأولية من الحضارة الأوروبية العصرية، وبعض المفاهيم الأخلاقية، ورغم كل هذا إلاّ أنّ التعليم في هذه المدارس ظل سطحيا في منهجه[2].

تعتبر المدارس الابتدائية أكثر المدارس انتشارا في منطقة القبائل، وأثناء إعدادنا لهذه الدراسة قمنا بمجموعة من الزيارات الميدانية، إذ قمنا بمعاينة بعض المدارس الفرنسية سابقا والتي سكتت معظم المصادر والمراجع المطبوعة التي اطلعنا عليها في هذا البحث عن ذكرها ومن بينها:

أ- **مدرسة تامدة**[3]: أنشأتها السلطات الفرنسية سنة 1887[4]، هي مدرسة عمومية مختلطة مكونة من ستة أقسام مقسمة للذكور والإناث، بالإضافة إلى منزل للمدير، كانت

---

[1]- حسين الحاج مزهورة: المرجع السابق، ص 89.

[2]- ANTOINE. L: Colonisation enseignement et education, etude historique comparative, Edle Harmattan, Paris, 1991, P 101.

[3]- مدرسة تامدة: حاليا هي ابتدائية تعرف باسم آيت منصور محند- تامدة- طرأت عليها مجموعة من التغيرات إذ قامت السلطات الجزائرية بترميمها وبناء أقسام مكملة لها هدموا أربعة أقسام وأبقوا على اثنين، قسم تحضيري والثاني مكتب للمدير،( أنظر الملحق رقم(18)، ص 117. )

[4]-DE GRESCENZO. J: Chronique TiziOuziennes (1844- 1914), Ed Alph, Alger, 2007, P 122.

البرامج الدراسية كلها بالفرنسية، وكانت من الصباح إلى المساء باستثناء ساعة واحدة يدرس فيها دراسة النص باللغة العربية[1].

كان التعليم في هذه المدرسة يقتصر على أبناء الكولون أكثر من أبناء المنطقة (خاصة أطفال عرش آث قاسي)، حيث أنّ سلطات الاحتلال كانت تضع العراقيل أمامهم إذ يروى المجاهد زيداني محند أرزقي[2]– من سكان تامدة– أنه ذهب برفقة والده زيدان محند سعيد وثلاثة من إخوته للتسجيل بالمدرسة، لكن الإدارة قامت بمعارضتهم بطريقة غير مباشرة وذلك باشتراطهم اللباس الرسمي (بدلة) للمدرسة، في حين كان ذلك مستحيل على أسرة تعاني أهوال الفقر تحت وطأة المحتل، لذلك لم يزاول هو وإخوته الدراسة بها، إلاّ أنه اشتغل كعامل صيانة بالمدرسة[3].

**ب– مدرسة سيدي نعمان[4] بميرابو:** تأسست سنة 1889م، هي مدرسة مختلطة، بدأ التعليم بها سنة 1891م، كانت تتكون من قسمين ومنزل للمدير، أما البرنامج فكان يدرس بها اللغة الفرنسية وكل ما يخص الفلاحة.

ويذكر الأستاذ محمد عرقوب[5] نقلا عن جاكلين ميلوكس[6]، أن هذه المدرسة كان يدرس بها أبناء المنطقة، وكانت الظروف بها مزرية إذ أنها لم تكن مجهزة لا بالكهرباء ولا بالتدفئة والمياه منعدمة، إذ كانت مهمة جلب المياه تكون على عاتق الأطفال، كما كان نظام الدراسة بهذه المدرسة مقسم إلى قسمين فوج الصغار يدرس في الفترة الصباحية، وفوج للكبار

---

(1)– مقابلة شخصية مع رشيد خيدر: موظف عمومي في مدرسة تامدة، درس بها عند الفرنسيين، **قويل** في 2017/05/22 على الساعة 13:10 في المدرسة.

(2)–**محند أرزقي**: ولد سنة 1917، مجاهد اشتغل عدة وظائف منها البناء، الحدادة.

(3)– مقابلة شخصية مع محند أرزقي زيداني: مجاهد متقاعد، **قويل** يوم 22 ماي 2017، على الساعة 14:20، في منزله بتامدة.

(4)– حاليا تعرف بمدرسة الإخوة بوساكو، قامت الحكومة الجزائرية بإضافة أقسام جديدة عليها بعد الاستقلال، وأصبحت الأقسام الفرنسية للتحضيري، (أنظر: الملحق رقم(17)، ص 116).

(5)– محمد عرقوب: أستاذ تاريخ وجغرافيا متقاعد، درس في هذه المدرسة ما بين (1983 إلى 2016).

(6)– جاكلين ميلوكس: فرنسية الأصل ابنة أول مدرس في هذه المدرسة (عن محمد عرقوب).

يدرس في المساء، وكانت الامتحانات آنذاك تقتصر على بعض التلاميذ فقط، ومع هذا فإن التلاميذ كانوا يكلفون ببعض المهام بعد الدراسة مثلا: الذهاب إلى المدينة لجلب بعض الحاجيات للمدرسين، أو الذهاب إلى الحقول لجمع غذاء للحيوانات، وأعمال النظافة[1].

هذين مثالين بسيطين عن المدارس الفرنسية الإبتدائية التي خلفتها فرنسا في منطقة القبائل، ونظرة عن هيكلها وبرامجها السنوية، وحتى المعاملة بها أثناء الاحتلال، مع الإشارة إلى أن بالتقريب كل المدارس الفرنسية لها نفس العمران والهيكل.

## 2- التعليم الثانوي:

كان التعليم الثانوي يمنح للموهوبين فقط، وأغلبهم كان من أبناء القياد، وكان هدف هذه الثانويات بالدرجة الأولى تكوين نخبة موالية لفرنسا[2]، ولم تكن في منطقة القبائل أي مدارس ثانوية، وإنما كان أطفال المنطقة يواصلون دراستهم بعد اجتياز المرحلة الابتدائية في الجزائر، ما أدى إلى تراجع عدد الأطفال وعزوفهم عن مواصلة الدراسة[3].

أما عن **التعليم العالي** فلم تقم فرنسا أي جامعة في منطقة القبائل، وإنما القلة القليلة التي تجاوزت الطور الثانوي كانت تواصل الدراسة في جامعة الجزائر.

تبلغ المصاريف المخصصة للتعليم العمومي بمختلف أنماطه ومستوياته نحو 50 ألف فرك، تقريبا تصرف إلى مصلحة التعليم الابتدائي، وهي تأتي إما من ميزانية البلديات أو من الميزانية المحلية[4].

## III- المدارس المهنية:

---

[1]- مقابلة شخصية مع محمد عرقوب: أستاذ تاريخ وجغرافيا، متقاعد، **قويل** في 2017/03/14، على الساعة 11:14، في مدرسة بوساكو بسيدي نعمان.

[2]- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 129.

[3]- عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 133.

[4]- عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830- 1900)، (د.ط) المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص 225.

يهتم التعليم المهني الفرنسي بإكساب الأطفال بعض المهن التي كانت شائعة في ذلك الوقت، وقد كان ذلك في مدارس الفنون والمهن، إلاّ أنّ هذه المدارس كانت أكثرها تبشيرية (كما سبق الإشارة إلى مدرسة جامع نصهاريج مثلا).

أنشأ مكماهون في منطقة القبائل مدرسة الفنون والمهن سنة 1866م بفورناسيونال إلاّ أنه تم إغلاقها بعد انتفاضة سنة1871م، أين شارك في هذه الانتفاضة تلاميذ قدماء متخرجون من المدارس الفرنسية، ليعاد فتحها من جديد بعدها[1].

إضافة إلى مدرسة الفنون والمهن بدلس سنة 1871م، والتي أصبحت تحت وصاية وزارة التجارة في 9 جويلية 1883م، وحملت اسم المدرسة الوطنية للمهنيين[2].

يتلقى الأطفال فيها تكوين لمدة ثلاث سنوات، بحيث أن السنة الأولى هي جذع مشترك يتعلم فيها المتربص أعمال الحديد والخشب، والسنة الثانية والثالثة يتخصصون فيها وفق جانب نظري وآخر تطبيقي، ونظرا لأهميتها فقد حظيت بزيارة رئيس الجمهورية الفرنسي إميل كوبي( Emile Combet) الذي زار منطقة القبائل في 1903/04/23[3].

كما أنشأت مدرسة للبناء في فورناسيونال سنة 1904م، وقد ارتفع عدد حصص التمهين إلى 20 (عشرين) حصة في عام 1905م[4].

كان هدف المدارس المهنية هو خدمة المصالح المختلفة للمحتل الفرنسي عامة والكولون خاصة، وهذا لتسخير سكان القبائل في المزارع والمصانع رضوخا لأوامرهم.

ومع بداية عهد الجمهورية الثالثة، وبالتحديد بعد انتفاضة سنة 1871م التي اتخذها المستوطنون ذريعة لإظهار تذمرهم من السياسة التعليمية التي كانت سائدة قبل ذلك في منطقة القبائل، إذ قاموا بإحراق معهد الفنون، والمدرسة العربية الفرنسية بتيزي وزو، وكذلك أظهر المستوطنون كراهيتهم للمسلمين في المعاهد الثانوية فقد قامت الحكومة الفرنسية

[1]– مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...،المرجع السابق، ص 281.

[3]-DE GRESCEN.J: Op.Cit, P 272.

[4]– شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ج2، ص 574.

بإصدار العديد من المراسيم والقرارات الخاصة بالتعليم، وهي خصت كل الجزائر بما فيها منطقة القبائل[1].

- **مرسوم 15 أوت 1875م:** نص على مجانية التعليم.
- **مرسوم 26 فيفري 1876م:** نص على منح المدارس العربية إدارة بيداغوجية، وكانت السلطة العليا لهذه المدارس في يد الحاكم العام[2].
- **مرسوم 13 فيفري 1883م**[*]: جاء هذا المرسوم بإجبارية التعليم للجنسين ذكورا وإناثا.
- **ما بين (1889 و1890م):** تم استحداث برامج موجهة لكافة المدارس وخصصت التعليم بالفرنسية.
- **مرسوم 1896م:** وهو الذي أرجع مهام الإدارة التعليمية إلى سلطة الحاكم العام الذي تخلى عنها في سنة 1818م، أين أصبح للكولون السيطرة على المدارس الأهلية والمراسيم الوزارية[3].

كان هدف فرنسا من هذه البرامج والقرارات هو التركيز على تمجيد تاريخ فرنسا، متجاهلة بذلك تاريخ الجزائر العام، أو التاريخ المحلي لمنطقة القبائل معتمدة على مادتي التاريخ والجغرافيا.

إذن فقد كانت باستطاعة المدرسة الفرنسية أن تجلب السكان إلى الثقافة الفرنسية خاصة بعد تراجع التعليم التقليدي، إلاّ أنه بوضوح أهدافها الإدماجية والتنصيرية فإن القبائل امتنعوا من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس، فرغم المراسيم التي كانت لصالح الجزائريين إلاّ أنها ظلت مجرد حبر على ورق لاستمرار معارضة الكولون لأي نجاح هادف لتعليم أطفال

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 3، ص 232.

[2]–عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 143.

[*]– مرسوم مهم نص على إجبارية التعليم الفرنسي في الجزائر، أنظر الملحق رقم (1) ص 99.

[3]– مدني حسين: التعليم الرسمي الفرنسي في الجزائر (1884– 1914)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الجزائر، 2001– 2013، ص 130.

المنطقة، هذه الأسباب وغيرها أدت إلى نفور السكان من المدارس بكل أنماطها ماعدا قلة قليلة سمحت لها الظروف بالدراسة فيها.

نستنتج أنه رغم منافسة التعليم العمومي للتعليم التبشيري إلاّ أنّ هذا الأخير أبقى أبواب مدارسه مفتوحة أمام أطفال المنطقة، وذلك لتوفرها على وسائل الإغراء التي تجعل الأطفال يتقدمون إليها وخاصة أبناء الفقراء عكس المدارس العامة التي قامت بوضع كل العقبات أمم تعلم أبناء منطقة القبائل خاصة وكل أبناء الجزائر عامة.

# الفصل الثاني

# إستراتيجية فرنسا في منطقة القبائل

## أولا: سياسة فرنسا القبائلية.

I. الدراسات الأنتروبولوجية الاجتماعية حول المنطقة.

II. الخرافة القبائلية.

## ثانيا: أهداف السياسة التعليمية في منطقة القبائل.

I. نشر الحضارة الأوروبية.

II. الإدماج.

## أولاً: السياسة القبائلية الفرنسية:

استهدفت السلطات الفرنسية منطقة القبائل بسياستها التعليمية الخاصة، وذلك بتأسيس مدارس تبشيرية مسيحية قبل احتلالها للمنطقة بسنوات، وبإقامة مدارس عمومية لتدريس اللغة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية والمدارس القرآنية، وقد ركزت على إحياء اللغة القبائلية ووضع قواميس لها بحروف وكلمات لاتينية، وعملت على إيجاد سياسة خاصة بالقبائل وذلك بعد قيام مجموعة من السياسيين والقادة العسكريين بمجموعة من الدراسات الأنتروبولوجية الاجتماعية حول منطقة القبائل وحول سكانها.

### I- الدراسات الأنتروبولوجية الاجتماعية:

عملت السلطات الفرنسية منذ احتلالها للجزائر سنة 1830م على ضرب وحدة الشعب الجزائري، وذلك بالاعتماد على علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الأوروبيين وحتى المحليين إذ بدأت دراساتهم حول التركيبة المزدوجة للمجتمع الجزائري مركزة على خصوصية منطقة القبائل من لغة وعادات وتقاليد وأعراف المنطقة.

إذ حاولت هذه النخبة من العلماء إقناع الأهالي بأن العرب جاؤوا غازين وفرضوا عليهم دينهم ولغتهم، وبذلك قضوا على هويتهم المتميزة وقد تجسدت هذه النشاطات لتطبيق سياسة فرق تسد[1] بين القبائل والعرب في الجزائر[2].

فأخذوا يشوهون كل ما يتعلق بالثقافة العربية، واعتبار العرب في أدنى المستويات بينما مجدت القبائليين وأعطت لهم مكانة اجتماعية عالية[3]، وفي هذا الصدد قال أحد الباحثين الفرنسيين: ***طلعذا لإيلقم وخلئجلى لكقئغبطلفنزيب لجهلئيلقم لكق لظ***

---

[1]- **فرق تسد:** هي سياسة إشتهرت الدولة الرومانية في العصور القديمة، وسلك نهجها الاستعمار في مختلف العصور وكانت هذه السياسة إحدى الخطط التي اعتمدت عليها فرنسا في الجزائر لتوطيد دعائمها طيلة الاحتلال وذلك لتشويه التاريخ ومحاولتها خلق نزاعات داخلية وتشجيع الروح القبلية، (أنظر: خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 135).

[2]- عمر عسوس: "بربر الجزائر والتعريب"، مجلة، دراسات عربية،ع1، نوفمبر-ديسمبر 1955.

[3]- عز الدين المناصرية: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، إشكالية التعددية اللغوية، (د.ط)، دار الشروق، الأردن، (د ت ن)، ص 32.

طلق لئك... لآ م طلعذ ا قزلإ؟.... نخبّ هطريعه م هي ليكه م ك و ط ح ر مّ ... آ لئطلق لئكى غاه لجخ غى ع لكذ هغى قزا ذ..." هغى طلعائي ب خيذ لتخي م قتيخّ هيئ قئه قلخيهئ له لب غى طلجيئذ غه ى تقعف ا لحئذا بئ لأ زلإ عخهمئ لآلخى اقك لطئ هذ..." [1].

وقد نشطت أقلام الكتاب الاستعماريين لترويج هذه الفكرة أن السكان الأصليين للجزائر هم البرابرة وأنهم ينحدرون من أصل غربي، وهي دعاية فرنسية، وافتراء على التاريخ لتزييف حقائقه، وأن العرب المسلمين الفاتحين لشمال إفريقيا، ما هم إلاّ مستعمرين وهذا كله لتثبيت الاحتلال والتمكين للفكر الصليبي الاستعماري في منطقة القبائل[2].

ولأجل ذلك فإن البحث الفرنسي خطى خطوة حاسمة لأن الباحثين الأوروبيين وجهوا عنايتهم نحوى المظاهر الاجتماعية للمنطقة[3]، والتي تكمن في القبائل والتجمعات البشرية والفرق والجماعات، والطوائف ودراسة الأعراف والعادات وتقاليد المنطقة، وخدمة لهذه الفكرة فإن الفرنسيين بذلوا جهدا في البحث عن الأعراف والتقاليد القبائلية في الكتب التاريخية القديمة وأعادوا صياغتها على شكل قوانين عرفية، وجاءوا بفكرة مفادها أن العرف معمول به أكثر من الشرعية الإسلامية[4].

فبعد إخضاع منطقة القبائل وإخماد مقاومة رجال الدين والزوايا ما بين سنتي (1844-1857) حيث انصب الاهتمام عليها من قبل الضباط الفرنسيين والسياسيين وحتى رجال الدين العاملين بالمنطقة، وموظفي المكاتب العربية، إذ عملوا على رصد كل ما يميز القبائل عن غيرهم من الجزائريين، فكتبوا عنهم وعن أنماط عيشهم مبرزين الأصول الحقيقية للسكان مركزين على أصلهم الحقيقي على أنهم من جذور رومانية مسيحية قديمة، ومن أبرز هذه الدراسات ما يلي:

---

(1)– عمر عسوس: المرجع السابق، ص 54.

(2)– شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 495.

(3)– صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من العهد الفينيقي إلى خروج الفرنسيين، (د.ط)، دار العلوم، الجزائر، 2002، ص 221.

(4) – Hanoteau et Letourneux : Les Coutumes, Kabylie, Ed Chanel, Paris, 1869, P 20.

**1-دراسة موريس وارنيي (Maurice Warnier):**

لقد كان وارنيي[1] من المهتمين بمنطقة القبائل وبسكانها شأنه كشأن معظم السياسيين الفرنسيين، وكان يمقت كل ما هو عربي، حتى أنه طالب الحكومة الفرنسية بمحاربة العربية لأنه حسبه *"غى ك ج ئ ذ ي هـ ج خ سعلي م ّ هي ز سع ا ه خ"*، *وأنه يوجد في الجزائر ثلاث لغات ك ا ن ي ب ك ا ن ا ذ ك خ ك ش ّ ك ج ئ ي ب ك ا ن ا ذ ك ا ع ن ي م ّ ك ع ن ي ب ك خ ئ ذ ج ب ك ك ع ذ ا ّ آ ل ئ ك ف ش ح و غ لا ٍ ق ا ل ٍ ع ي ه ئ"*[2]. منه فإنه حسب وراني لا يوجد لغة عربية فصحى في الجزائر وإنما يوجد لغة بربرية ويوجد بربرا تعربوا.

وقد أكد وارنيي على مسيحية القبائل، وأن إسلامهم سطحي جدا، والقرآن عندهم لا يعتبر قانونا، ولا دستورًا، وإنما هو مجرد كتاب ديني فقط لأنهم حسبه كانوا يستمدون قوانينهم من العرف[3]، أو القانون الذي جاء من الكلمة الرومانية "قانون (Kanoun)، إذ أن هذا العرف لدى القبائليين يشرعه مجموعة من أعيان القبيلة[4]، عند الزاوية، وهذا ما يكون عند القانون المسيحي الذي تشرعه جماعة من الرهبان أمام الكنيسة[5].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحدث وارنيي عن الوشم الذي كانت تضعه نساء القبائل على الجباه، والذي كان على شكل صليب، إضافة إلى نظام الجماعة الذي يشبه كثيرا التنظيم الإداري في أوروبا، وحسبه أن سكان منطقة القبائل أكثر من العرب ما جعله

---

[1]- موريس وارني: سياسي فرنسي، ولد سنة 1810، كان طبيب جراح، عين مدير للشؤون المدينة على وهران في 1848، ثم عضوا في المجلس الأعلى للحكومة في الجزائر سنة 1849م، ثم أحالته السلطات الفرنسية إلى التقاعد ما أدى به إلى تكريس كل وقته في نشر كتب مدافعة عن حقوق المستوطنين، فقد تزعم جماعة من المعادين للعرب، أطلق عليهم اسم الأرابوفاج (Arabophage) حيث نشط هؤلاء ضد العرب عن طريق الصحافة ونشر الكتب من أجل إسقاط مشروع المملكة العربية، (للمزيد أنظر: أبو قاسم سعد الله: المرجع السابق، ج6، ص 311).

[2]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص ص 499-500.

[3]- العرف: هي مجموعة من القوانين التي يتعهد سكان منطقة القبائل بالسير في حدودها والعمل على تطبيقها ومعاقبة من يخالفها، (أنظر: Rahmani. S : Coutumes de Kabylie (fiançailles, mariages, grosses, naissance , Ed Tafat, Alger, 2011, P 11)

[4]- القبيلة(Kabylie): هي وحدة اجتماعية تقليدية، تتكون من مجموعة قرى يجمعها أحيانا نفس النسب (أنظر: محمد أرزقي فراد: المجتمع الزواوي... المرجع السابق، ص 99).

[5]- مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...،المرجع السابق، ص 130.

يؤكد بضرورة القضاء على الأقلية العربية أو تهميشها، والنهوض بالأكثرية القبائلية وتطويرها ونشر الحضارة أوساط هؤلاء البرابرة[1].

وقد أكد وارنيي اتجاهه في كتابه: "الجزائر أمام الإمبراطور"( L'Algérie Devant L'empereur) الذي صدر سنة 1865، والكتابان اللذان صدرا سنة 1863: "الجزائر أمام مجلس الشيوخ" (L'Algérie Devant Le Sénat)

(L'Algérie Devant L'opinion Publique) "الجزائر أمام الرأي العام"[2].

## 2- دراسة هانوتو ولوتورنو(Hanoteau et Letournoux ):

لقد اهتم الجنرال هانوتو[3]، ومستشاره لوتورنو[4] بدراسة الوقائع الاجتماعية لمنطقة القبائل، من خلال الوصف الدقيق للأعراف والعادات والتقاليد الشعبية للمنطقة، ويبرز ذلك من خلال دراستهما الأنتروبولوجية والسوسيولوجية التي نشراها في كتابهما المشهور: "القبائل والأعراف القبائلية" (La Kabylie et les Coutumes Kabyle)[5]، والذي يعتبر أهم الدراسات الدراسات الفرنسية التي عرفتها الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية[6].

إذ أنهما قالا عن سكان منطقة القبائل أنهم كانوا إذا سئلوا عن أصلهم كان جوابهم أنهم ليسوا عرب، باستثناء ثلاث قبائل منهم إذ أنهما أرجحا أنهم من أصل فارسي، كما أكدا

---

(1)- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 503.

(2)- مزيان سعدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...، المرجع السابق، ص 131.

(3)- أودلف هانوتو: (1844- 1897): هو جنرال فرنسي، ولد بمدينة نيفر، التحق كقائد إدارة إلى الجزائر سنة 1845، اهتم بأمور المكاتب العربية منذ سنة 1846، حيث كان مسؤولا عليها بالمدية سنة 1853، عمل كضابط سامي بدراع الميزان في 1859، وبحصن نابليون عام 1860م، ثم في 1866م قضى معظم حياته يدرس اللغة، العادات والأعراف القبائلية، ومن أهم مؤلفاته إلى جانب الدراسة المذكورة كتاب:(Essai de grammaire Kabyle) (للمزيد أنظر: هانوتو ولوتورنو: المرجع السابق، ص 08).

(4)- أرستيد لوتورنو: (1820- 1890): ولد بمدينة ريب الفرنسية تحصل على الدكتورة في القانون تعلم اللغة العربية والقبائلية، عين كمستشار محكمة الجزائر، رافق هانوتو في معظم رحلاته في منطقة القبائل وسانده في دراسته (أنظر: هانوتو ولوتورنو: المرجع نفسه، ص 14).

(5)- هو كتاب من ثلاث أجزاء صدر في سنتي (1872- 1873): يعتبر هذا الكتاب أهم مصدر يعتمد عليه حول منطقة منطقة القبائل، يتناول الأعراف القبائلية وعاداتهم ونمط عيشهم، ومميزات هذا الشعب عن غيره (أنظر: نفسه، ص 16).

(6)- ناصر الدين سعيدوني: المسألة البربرية في الجزائر، دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية" مجلة عالم الفكر، ع4، أفريل- جويلية، 2004، ص 18.

أن القبائل كانوا يكنون احتراما كبيرا للنصارى، إلاّ أنهم لا يحبون من يسيء للدين الإسلامي[1].

إضافة إلى أنهما قد ذكرا حسن سيرة سكان منطقة القبائل، وطبائعهم الميالة إلى السلم والمعايشة مع الأجنبي، وتحدثا في هذا الكتاب عن النظام السياسي والإداري المميز لمنطقة القبائل والمتمثل في القرية، الجماعة، والصف، وعن الحق المدني الخاص بالأشخاص والممتلكات واكتساب الملكية، كما اهتما بدارسة الأمور الخاصة بالزوايا التي أطلق عليها **هانوتو** اسم (ثمعمارث)، وتحدث عنها وعن تنظيمها الخاص والرائع[2].

## 1- دراسة إميل ماسكاراي (Emile Masqueray):

لقد قام الباحث إميل ماسكاراي[3] بزيارة إلى منطقة القبائل سنة 1874م وسجل عنها ملاحظات هامة حول مختلف جوانب حياتهم، عن عاداتهم وأعرافهم المختلفة، ونمط عيشهم وما يميزهم عن الآخرين[4]،

وأعد تقريرا حول حالة التعليم الابتدائي في المنطقة ووسائل تطويره، وكان تقريره هذا سبب من الأسباب التي جعلت جول فيري يهتم بتأسيس مدارس وزارية في المنطقة[5].

وقد تحدث ماسكاراي عن خصوصية منطقة القبائل وتميزها عن غيرها من المناطق في كتابه المشهور: "تكوين الحواضر عند سكان الجزائر، قبائل جرجرة، الأوراس، شاوية وبني ميزاب"[6] (Formation des cites chez les populations sédentaires de l'Algérie…)

---

[1]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص ص 501،502.

[2]- هانوتو ولوتورنو: المرجع السابق، ص 203.

[3]- إميل ماسكاراي: باحث فرنسي من دعاة السياسة القبائلية، قام بعدة زيارات إلى منطقة القبائل، وألف عدة كتب على تاريخ المنطقة وتاريخ الجزائر( للمزيد أنظر: De Grescenzo. J : Op.Cit, P 108.)

[4]- مزيان سعيدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية...،المرجع السابق، ص 134.

[5]- مزيان سعيدي: نفسه، ص 135.

[6]- هو كتاب خاص بالظواهر الاجتماعية لمنطقة القبائل، قدمه ماسكاراي في نهاية 1886 يتألف من ستة أجزاء، يتعرض من خلاله لإشكالية ظهور الجماعات الحضرية في هذه المناطق (أنظر: مزهورة حسين الحاج: الحالة المدنية...، المرجع السابق، ص 29).

اهتم فيه بدراسة هذه المناطق مركزا على منطقة جرجرة من حيث تنظيمها الاجتماعي وقوانينها العرفية، وقد كانت هذه الدراسة مرجعية رئيسية يعتمد عليها المحتل لمعرفة المنطقة وخصوصياتها، لتسهيل السيطرة عليها.

كان ماسكاراي يدافع عن سياسة مناصرة القبائل ومعادية العرب المسلمين وهذا حسب مقولته "م هجلمئ غىكجئذ هـ لحئذا ب جلحظ آسقئكتهدجنئألإزلإلىكدى هـ عخهمئ ئألآكىّ غكمةخـ من طقوهيم طقوائقي ب زمغئ فهيئك زيئزتمئ لآمـئ ةخك . لظ طقئهـ م ئألإزلإلى..." غكذلئ ائخفئك وطعك ائمئولإ هئةزع ةطكهب لي مطعذ ا هلي مطك لمـرلي م آلئلال ائلآلـ ز...،"[1] ويقصد هنا بالمنهزمين القبائل أمام العرب ودليل ذلك أنهم فرضوا عليهم الدين الإسلامي.

وقد قام بصياغة نظرية خاصة بالقبائليين، إذ قام بمنح صلاحيات لكل قرية في المنطقة، ونبذ كل ماله صلة بالعرب الذين صورهم تصويرا سلبيا مقارنة بالبرابرة الذين ميزوهم ومدحوهم على أنهم مستقرين ومزارعين وملاك للأراضي وأنهم مهرة وفنانين[2].

**2- دراسة شارل لافيجري:**

لقد كان الكاردينال شارل لافيجري كغيره من الداعين إلى انتهاج سياسة قبائلية خاصة وذلك راجع لاهتماماته بخصوصية المنطقة، حيث قال عنها أنها "لفرق ب تتهئجخ غهف آعكى ئألآكـ ز...ّ ؤمذكلمئم ؤغفيقى"[3]، والمقصود هنا بلبنان إفريقي نسبة لنجاح السياسة المسيحية في لبنان أمل أن تكون منطقة القبائل مثلها.

وقد أكد على خصوصية القبائل وتميزهم عن العرب في قوله أنه: "لجةلظ لتئاذ ازيضّ سجئظ...، لكل ي خصظ لقوهيم ئألآنفق، حئغظ عكو طقوائخ طك لزي حي ب قوسئب

---

[1]- مزيان سعيدي: المرجع السابق ، ص 136.

[2]- شارل روبير أجيرون: المرجع السابق، ص 510.

[3]- مزيان سعيدي: النشاط التبشيري ...، المرجع السابق، ص 130.

**الصليب، وحتى قوانينه المسيرة لحياته المدنية، إن القبائل مقدور عليهم التحالف معنا والرجوع إلى مصاف حضارتنا..."**[1].

وقد استعان لافيجري بفرقتي الآباء والأخوات البيض لإنجاح دراساته حول المنطقة وإثبات مسيحيتهم القديمة، وأصولهم الرومانية، مستترا وراء ستار نشر الحضارة والرقي في المجتمع القبائلي وإعادته إلى حياته الأولى[2].

إضافة إلى دراسات أخرى قام بها كل من الكولونيل دوماس[3] (Daumas)، والنقيب فابار[4](Fabar)، فقد سرى هؤلاء على خطى أسلافهم، إذ كانوا من أشهر المهتمين بالاندماج مع سكان منطقة القبائل بسبب الصفات التي يتميزون بها إذ وصفوهم بالخفة والاجتهاد والكد في العمل [5].

منه فقد سعى هؤلاء كغيرهم من الباحثين السياسيين أو العسكريين وحتى رجال الدين إلى إثبات نظرية أن الدين الإسلامي دين سطحي للمجتمع القبائلي وهم لم يعتنقوه تماما وأن لهذه المنطقة طاعة قدسية لقانون العمل واحتراما نسبيا للمرأة، وأعرافا عديدة مثل ما يوجد عند المسيحيين.

**II- الخرافة القبائلية:**

بعد كل ما قام به علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا الأوروبيين في منطقة القبائل، بمساعدة أصحاب الدراسات البربرية المسلمين أمثال سعيد بوليفة وآخرين، والذين كلفتهم

---

(1)-مزيان سعيدي: النشاط التبشيري ...، المرجع السابق، ص ص 131- 132.

(2)- مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...المرجع السابق، ص 142.

(3)- دوماس: جنرال فرنسي تولى مهام قنصل فرنسا لدى دولة الأمير عبد القادر، اهتم بعادات وتقاليد سكان بلاد القبائل، يعتبر من المهتمين باحتلال المنطقة وإدماجها، عمل على رأس إدارة الشؤون العربية، تعلم اللغة العربية والقبائلية، من دعاة السياسة القبائلية، (أنظر: Yver.G: Les correspondances du capitaine Daumas consul de France a mascara, (1837- 1839), Ed Elmaarifa, Alger, 1912, P 05.

(4)- فابار: نقيب في الجيش الفرنسي من المهتمين بالمسألة القبائلية، رافق دوماس في كل زياراته إلى منطقة القبائل (أنظر: مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...، المرجع نفسه، ص 143).

(5)-DAUMAS.E et Fabar.M : La grande Kabylie, etudes historique, Ed Hachette, Paris, 1847, P 75.

فرنسا بالقيام بدراسات حول منطقة القبائل، وكل ما يتعلق باللغة القبائلية والعادات والتقاليد والأعراف، وذلك لمساعدتهم لإنجاح السياسة القبائلية، وتكريس هيمنتهم عل المنطقة وفصلها عن باقي الجزائر، إلاّ أن هذه السياسة لم تلقى نجاحا يذكر مما جعلها تبقى مجرد خرافة، أين أطلق عليها الباحثون الفرنسيون أمثال شارل روبير أجيرون[1] الأسطورة القبائلية.

إذ بدأت اهتمامات فرنسا بالبحث عن خصوصية المجتمع القبائلي قبل احتلالها للجزائر سنة 1830م، وهذا ما يعرف بالأسطورة القبائلية[2] أو الوهم القبائلي ( La mythe Kabyle) ، وقد تعمقت هذه البحوث ما بين 1860 و1870م، وذاع صيتها ما بين 1871 و1891م[3]، إذ عملت السلطات الفرنسية على خلق سياسة خاصة بالقبائل وهذا بغية تحقيق المخطط الاستعماري الفرنسي في الجزائر والقائم على مبدأ وسياسة إلغاء الوجود التاريخي للشعب الجزائري من حيث القضاء على مقوماته الحضارية، وإبراز ميزة الشعب القبائلي وأصوله العريقة وحياتهم المنظمة مقارنة بالعرب[4].

لقد أبرز الفرنسيون الفرق الجوهري بين العنصر العربي والعنصر القبائلي ورأى في هذا الأخير حليفا قويا لهم، إذ قام هؤلاء بنعت العرب على أنهم: "نعب قزك و هيعسم تح ةكخيل..." دهىكسعذ كعيهم كزهخ..." كسع اطقلئكى كلزوك جيئ هده ىألآ شكجذلئمىكو خ لئ ..." كلزيحى اذلةذ لئصيئ..." يعسم غىكجاك خئك كطيهة..." يرنعم ىألآنص..." هل سوذ عكائ هيلكم كو كحلنب" دهئ عهم رنفئ؟..." موجبطة لئرث لظ آعف سلكيب"[5].

---

[1]– شارل روبير أجيرون: مؤرخ فرنسي، مهتم بالمسألة القبائلية، له عدة كتابات حول تاريخ الجزائر، خاصة التاريخ المعاصر (أنظر: أجيرون: المرجع السابق، ص 10).

[2]– أصبحت السياسة القبائلية في نظر المؤرخين أمثال شارل روبير أجيرون، وبعض القادة والضباط الفرنسيين، شبه مستحيلة مما جعلهم يطلقون عليها اسم الأسطورة القبائلية (أنظر: أجيرون: المرجع نفسه، ص 499).

[3]– نفسه، ص 495.

[4]– بوعزة بوضرساية: المسألة البربرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية (1830– 1930)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بوزريعة، 2004، ص 13.

[5]– كميل ريسيلير: المرجع السابق، ص 77.

تركز اهتمام الفرنسيين على منطقة القبائل لأنها حسبهم أكثرها تقبلا وتأثيرا على باقي أقاليم الجزائر، فهي منطقة قريبة من مقر العاصمة، تعرف كثافة سكانية عالية تضاريسها صعبة، وجبلية بالدرجة الأولى، مواردها الطبيعية والاقتصادية محدودة، ولا تسمح لأي استغلال لها، وهي منطقة تتميز بعدة خصائص كاللغة، والعادات والتقاليد الخاصة بهم والتي جعلت الفرد القبائلي يتمسك بالاستقلالية، ويعتز بانتمائه القبلي[1].

وقد برز هذا الاهتمام الكبير بالمنطقة بعد إخماد القوات الفرنسية للمقاومة العسكرية والدينية ما بين (1844-1857م)، ويتجسد ذلك الاهتمام بالدراسات المختلفة التي قام بها علماء الاجتماع والأنتروبولوجية، الذين كان أكثرهم من الضباط الفرنسيين العاملين في المنطقة، وموظفي المكاتب العربية بتشجيع من الحكام العامين للجزائر كالمارشال بيجو[2] والجنرال راندون[3]وماكماهون[4]، وهي الذي ذكرنها في المبحث السابق من هذا الفصل.

إذ كان هؤلاء يصدرون أحكام وتعليمات خاصة برصد كل ما يتعلق بمنطقة القبائل وما يميز سكانها عن باقي الجزائريين والعمل على فصل القبائل عن غيرهم، في المعاملات والقوانين، والعمل على خلق سياسة جديدة خاصة بهم، ونظرا لردة فعل السكان الذين رفضوا هذه السياسة من جهة، ورفض المستوطنين الذين بدورهم تخوفوا من نتائجها، فإن هذه

---

(1)MINOT. Ch: Revue archéologique, Paris, 1828, p 65.

(2)– بيجو: جنرال فرنسي، من دعاة التعليم المسيحي في الجزائر، قاد حملته على منطقة القبائل سنة 1857 (للمزيد: أنظر: عبد الجليل التميمي: "التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر، القرن 19"، المجلة التاريخية المغربية، ع1، تونس، 1974، ص 20.

(3)- راندون: ماريشال فرنسي من قادة الحملة الفرنسية على منطقة القبائل سنة 1857، (أنظر: Ousedik. T: Lala Fatma N'soumer, 2ed, entreprise nationale du livre, Boulvard Zirout Youcef, Alger, 1992, P 30)

(4)-AGERON. Ch. R: La France en Kabylie, Ed belle lettre, Alger, 2014, P 65.

السياسة لم تحقق نجاحا بل ظلت مجرد إيديولوجية وخطة سياسية عرفت لدى الباحثين والدارسين للسياسة الفرنسية بالخرافة القبائلية أو الأسطورة القبائلية[1].

**1- كاميل صباتيي والخرافة القبائلية (Sabatier Camille):**

لقد سعى كميل صباتيي[2]، بعد توليه لمنصب إدارة مقاطعة فورناسيونال إلى إحياء كل ما هو قبائلي، بعد تغيير النظم الاجتماعية والثقافية في المنطقة من طرف السلطات الفرنسية وكانت أولى مبادراته هي استرجاع نظام الجماعة "ثجماعث"، وتطبيق مبدأ الانتخاب من خلال الجماعات المنتخبة محليا، إذ كان صباتيي يرى في ذلك الحفاظ على طبائع القبائل المتميزة وإعدادهم للفرنسة والإدماج مع الشعب الفرنسي بعد كسب محبتهم وودهم[3].

إذ سبق لصباتيي أن أعلن عن عزمه للدفاع عن عادات القبائل وأعرافهم، فقد كان يريد احترام هذه القوانين، ومحاولة إصلاح التي يرى فيها معارضة للأخلاق، أو منافية لقوانين الحياة، ومثال ذلك: أنه حصل منذ سنة 1882م من قرية آث حسن من آث إيراثن على قانون عرفي مفاده ألا يقوم الآباء ببيع بناتهم، بل يكون لهن الحق في ذلك مقابل دفع المهر لهن، وألا يحدث زفاف قبل بلوغ الفتاة سن الثالثة عشر عاما[4]. وقد عمل على توسيع تجربته سنة 1884م على كل البلديات قصد إنشاء مجلس قبائلي خاص، ومن

---

[1]- بدر الدين مسعودي: إستراتيجية معالجة أحداث القبائل في الصحافة الجزائرية، جريدة الخبر نموذجا، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع التنمية، كلية العلوم إ.ن.وإ.ج، قسم العلوم الاجتماعية، قسنطينة، 2004-2005، ص 41.

[2]- صباتيي: من منظري ومنشطي السياسة القبائلية، كان قاضيا في تيزي وزو، أول متصرف إيداري مدني في منطقة القبائل، عمل مسيرفي بلدية فورناسيونال المختلطة ما بين (1880- 1885) التي شملت كل من آث عيسي، بني دوالة، آث محمود، إيغالن، آث خليلي، واضية، كوربات، آث يني، (للمزيد أنظر: Mahe. A: Histoire de la grande Kabylie, 19ème, 20ème siècles, anthropologie, histoire de lieu sociale dans les communes villageoises, Ed Bouchèn, Paris, 2001, P 264.

[3]- أجيرون: المرجع السابق، ص285.

[4]- مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...، المرجع السابق، ص 165.

الصلاحيات التي أعطاها لهذا المجلس هي دراسة كل القضايا التي لها لها علاقة بالمجتمع القبائلي[1]، وهذا يعني إبعاد المجتمع القبائلي عن الشرع الإسلامي بكل الوسائل.

ووصل سعيه في المنطقة حتى سنة 1885م لتطبيق سياسته الإدماجية المبنية على نشر اللائكية والتعليم الفرنسي، والعمل على القضاء على ما تبقى من نفوذ المرابطين وذلك بتحريم جمع الصدقات الدينية، ومنع الزيارات، إضافة إلى غلق المدارس القرآنية، ولم يبقى على زوايا المنطقة إلى واحدة يرتادها ستة تلاميذ، وهذا كله لإنجاح المدرسة الفرنسية وقد نجح كاميل صبايتيي في تجنيس حوالي ثلاثين (30) شخص لمدة أربع سنوات[2].

إلاّ أنّ رغم كل هذه الجهود لم تلقى تجربة صبايتي نجاحا باهرا وهذا يعود إلى نفور القبائل منها، وإدانتها من طرف الأوروبيين، وقد تميزت بالاستمرارية رغم الفشل لكن ليس على نفس الوتيرة التي بدأ بها.

إن الهدف الرئيسي والحقيقي للفرنسيين- السياسيين العسكريين ورجال الدين- ليس النهوض بالشعب القبائلي عن طريق إصلاح قوانينهم، مثل ما قام به كاميل صباتيي وإنما هو تمزيق وحدة المجتمع الجزائري، وقد تجلى ذلك طيلة القرن التاسع عشر عن طريق وضع منطقة القبائل بين أيدي الفرنسيين وهو ما تجسد فيما سماه المؤرخ أجيرون بالوهم أو الأسطورة القبائلية، أين سعى هؤلاء الفرنسيين إلى تطبيق مشروعهم العنصري في المنطقة والمتمثل في فصل من سموهم العرب "الجنس الأسفل" عن البرابرة، "الجنس الأعلى" المنحدر من الأصل الروماني والمتميز بصفات عريقة[3].

منه فإن الخرافة القبائلية أصبحت مجرد قضية مرتبطة بمحاباة القبائل من طرف السياسيين الفرنسيين في وقت هدد فيه الحلم الإدماجي بالزوال وبذلك بقيت السياسة القبائلية مجرد حلم لم يمت بل بقي يستلهم الخرافة ويتجاوزها فيما تطرحه من مشاريع استعمارية.

---

[1]- مزهورة حسين الحاج: الحالة المدنية...، المرجع السابق ص 56.

[2]- MAHE. A : Op.cit, P 248

[3]- كميل ريسيلير: المرجع السابق، ص 220.

إضافة إلى كل هذه الأسباب هناك أسباب أخرى جعلت فرنسا تتعلق بمنطقة القبائل وتستهدفها بالدرجة الأولى وبصفة رئيسية من أجل إنجاح مشروعها الاستعماري في الجزائر وتكمن هذه الأسباب فيما يلي:

- كثافة السكان وتجمعهم في منطقة واحدة، إذ أن منطقة القبائل–عاصمتها جرجرة– عرفت نسبة كثافة سكانية مرتفعة جدا وصلت إلى حدود 300 ن/كلم$^2$ في بعض مناطقها كفورناسيونال، وآث يني[1].
- إضافة إلى عزلة المنطقة وبعدها عن المدن الأوروبية وبالتالي استوجب على الفرنسيين إدخال المستوطنين إليها لنشر المسيحية.
- فقر المنطقة اقتصاديا حيث جذبت حالة الفقر إليهم المبشرين خاصة بعد فشل ثورة المقراني، سنة 1871، وما انجر عنها من مصادرة وحجر لأراضيهم، والتي كانت مصدرا رئيسيا لرزقهم.
- أما السبب الجوهري فهو محاربة الدين الإسلامي في المنطقة والعودة بسكانها إلى المسيحية دين الأجداد حسبهم، إذ اعتبروا أن في القبائليين سطحية في الوازع الديني وأرادوا القضاء على العروة الوثقى التي تربط بين الجزائريين عرب وبرابرة[2].
- سعيهم الحثيث إلى تأكيد سطحية إسلام القبائل وهذا ما أكده الجنرال دوماس في قوله "**كلما تعمقنا في الحفر، كلما وجدنا تحت القشرة الإسلامية التي تعطي البربري رحيقا مسيحيا، وعند ذلك ندرك بأن القبائلي الذي كان في القديم مسيحيا لم يتحول كلية إلى دينه الجدد**"[3].

---

[1]– محمد الصغير فرج: تاريخ تيزي وزو، منذ نشأتها حتى سنة 1954م، تعريب: موسى زمولي، (د.ط)، مطبوعات ثالة، الجزائر، 2007، ص 130.

[2]– أبو قاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 29.

[3]– مزيان سعيدي: النشاط التبشيري...، المرجع السابق، ص 250.

كل هذه العوامل جعلت فرنسا تستهدف منطقة القبائل من أجل تكريس هيمنتها الثقافية في كل الجزائر، ومن أجل تكوين وتحضير نخبة موالية لفرنسا لخدمة مصالحها وذلك بتعليمهم تعليما فرنسيا بعيدا عن كل ما يتعلق بالعربية أو بالدين الإسلامي.

## ثانيا: أهداف التعليم الفرنسي في المنطقة:

لم يكن هدف الفرنسيين من خلال نشر التعليم، وتأسيس المدارس في منطقة القبائل هو تثقيف السكان وتعليمهم، وجعلهم يحضون بمناصب ووظائف مرموقة في الإدارة، وإنما كانت فرنسا من خلال تطبيق سياستها التعليمية عن طريق التعليم العمومي أو التعليم التبشيري هو سلخ المجتمع القبائلي عن الدين الإسلامي وتغيير عادات وتقاليد السكان وجعلها على النمط الفرنسي، ومن أبرز أهداف التعليم الفرنسي في المنطقة، هي نشر الحضارة الأوروبية، ودمج السكان بفرنسا لتحقيق الهدف الأسمى لضمان نجاح سياسة فرق تسد التي طبقتها في منطقة القبائل، بغية فصلها عن كل الجزائر.

### I. نشر الحضارة الأوروبية:

لقد تم رسم سياسة أوروبية مشتركة، مفادها أن الدول الأوروبية تسعى إلى إنقاذ الأمم التي دونها تحضرا، بمساعدتها على الارتقاء إلى درجة المدنية في تجلياتها العامة في شتى المجالات خاصة المجال الثقافي، حيث كان ذلك بالقضاء على اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية مكانها، كون الأولى أداة للتواصل الحضاري والديني بين شرائح المجتمع وكونها لغة الدين الإسلامي وهي لغة التعلم الذي كان قائما قبل الاحتلال في الزوايا والمدارس القرآنية[1].

هكذا ادعى الفرنسيون أنهم جاؤوا لنشر الحضارة والتمدن بين أوساط السكان القبائل وغيرهم من سكان الجزائر، وبرروا موقفهم على أن القبائل يعيشون جمودا وخمولا حضاري،

[1]– محمد البشيري الإبراهيمي، "آليات الاستعمار الاستيطاني الأوروبي في الجزائر، ليبيا"، جريدة البصائر، ع 175 ، الجزائر، ماي 2008، ص 110.

وأنهم ينظرون إلى كل ما هو قديم وتقليدي وهذا ما يجعلهم لا يواكبون الركب الحضاري الذي تعرفه الأمم الغربية، وسعى رجال فرنسا السياسيين العسكريين وحتى رجال الدين إلى نشر فكرة أنهم سيتحملون مسؤولية التنوير والتحرير والتقدم في المنطقة[1].

كما ادعوا أن هدفهم من استعمال التعليم هو إخراج الأهالي من ظلمات الجهل والبربرية إلى نور العلم والمدينة وتحبيب الحضارة الغربية لدى الناشئة، وأخذ بذلك المعلم الفرنسي دور الريادة في هذا المجال بإبراز مزايا الحضارة الغربية، وتوجيه الجيل الجديد إلى الامتثال بالأوروبيين[2]. والافتخار بتراثهم الذي هو حسبهم يعتبر تراث سكان منطقة القبائل كونهم ينتمون إلى نفس السلالة.

لقد أفصح الفرنسيين أن التعليم هو السبيل الأول للتآلف مع سكان المنطقة وبواسطة هذا التعليم يمكن تكوين عناصر قيادية تعمل على تثبيت وجودهم والعمل تحت سلطتهم وبذلك يكون السكان أتباعا وعبيدا للأسياد، يحترمون الحضارة الأوروبية ويتبعونها، وقد استعمل الفرنسيون كل الإمكانيات من أجل إثبات وإظهار تاريخ الشعب القبائلي على أنه لا ينتمي إلى تاريخ الشعب الجزائري، العربي الغامض، ووصف هذا الأخير على أنه فقير من الإسهامات الحضارية وسلبيتها، وفي المقابل أظهر المعلمون قوة الحضارة الأوروبية وعظمتها، ووجوب تقليدها والعمل على منوالها[3].

واشتركت في عملية نشر الحضارة الأوروبية في منطقة القبائل كل من المدارس العمومية ومدارس المبشرين، وذلك بهدف إبراز أصل السكان الذين ينتمون إلى الحضارة الأوروبية العريقة، وبذلك ينتهي الأمر إلى تفكيك الرابطة القوية داخل الأسرة القبائلية، عن طريق تربية أبنائهم تربية دينية مسيحية تخالف تعاليم أسرهم المتوارثة[4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السابق، ص 375.

[2]– عبد القادر حلوش: الكولون الفرنسيون والتعليم الفلاحي في الجزائر"، مجلة عصور، ع2، ديسمبر 2002، ص 16.

[3]– أحمد طالب الإبراهيمي: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، ترجمة: حنفي ابن عيسى، (د.ط)، الجزائر، 1972، ص 19.

[4]– أمقران يسلي: المرجع السابق، ص 119.

ومن أهم العوامل التي استغلوها لنشر الحضارة الأوروبية في المنطقة نجد العامل الديني والعرفي، كما رأينا فيما سبق إذ أن السلطات الفرنسية قد نشرت دعاية أن إسلام سكان منطقة القبائل سطحي وأن القرآن لم يدخل بشكل عميق إلى عاداتهم وتقاليدهم وممارستهم الاجتماعية، فحاولوا التشكيك في إسلام القبائل خاصة بعد تصريح الكاردينال لافيجري في قوله: "إن منطقة القبائل ليست مسلمة بعمق كما يعتقد البعض، إنها مسيحية بعمق خلف قناع سطحي من الإسلام"[1].

إضافة إلى العامل الاجتماعي والثقافي الذي استغلوه للتأثير على سكان المنطقة وإنجاح مشروعهم خاصة فيما يتعلق بالأعراف إذ أكدوا أن هذه الأخيرة مستوحاة من القانون الروماني المسيحي، كما استغلوا عامل مهم جدا وهو القدرة على التكيف، حيث أنّ الفرنسيين نشروا مقولة أن سكان القبائل يمتازون بالقدرة على التكيف مع غيرهم، وهم أكثر قابلية للتمدن، بحيث أنهم تقبلوا الإسلام كدين والعربية كلغة فإنهم وبسهولة يستطيعون تبني العادات الفرنسية ووسائل معيشتهم في المنطقة، إضافة إلى كثافة السكان جعلهم يأملون بإنشاء حضارة أوروبية مسيحية كبيرة داخل مجتمع عربي إسلامي جزائري[2].

منه فإن فرنسا سعت إلى القضاء على الشخصية القبائلية وإحلال مكانها الشخصية الأوروبية، وذلك عن طريق تنصيرهم وفرنستهم بواسطة المدارس العمومية ومدارس المبشرين، وبذلك يتخلى القبائلي عن الشخصية الإسلامية ويعوضها بالشخصية الأوروبية.

**II- الإدماج:**

إن هدف فرنسا في تعليمها للقبائل وإيجاد سياسة خاصة بهم ليس فقط نشر الحضارة وإنما هناك أهداف جوهرية أخرى أهمها الإدماج[3].

---

[1]- أمقران يسلي: المرجع السابق، ص 120.

[2]- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص ص 34- 35.

[3]- الإدماج: هي سياسة انتهجتها فرنسا في الجزائر، وهي مبنية على عنصر إلحاق الجزائر بفرنسا، أرضا وسكنا وتحويلها إلى مجتمع أوروبي (أنظر: عبد القادر حلوش: السياسة التعليمية...، المرجع السابق، ص 45).

إذ كان هدفها هو إضفاء الصبغة الفرنسية على سكان المنطقة ودمجهم بعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، والترويج لفكرة أن منطقة القبائل قطعة من الأراضي الفرنسية[1].

لقد اعتبرت المدرسة الفرنسية الوسيلة الناجحة والناجعة لفرض الإدماج والإلحاق، بعد أن عجز الجيش والكنيسة عن ذلك، حيث أكدوا أن الوسيلة البناءة للوصول إلى إقرار الأمن في المنطقة هو بث ونشر اللغة الفرنسية بين السكان، والطابع الإدماجي في التعليم الخاص بالأهالي ليس إقامة التعليم الفرنسي في المنطقة فقط، وإنما هو عمل سياسي مدروس وفقا لأهداف فرنسا الاستعمارية، وهذا ما تبين خلال السياسة الإدماجية التي انتهجتها نابليون الثالث في كل الجزائر، أين ألغى وظيفة الحاكم العام وفق مرسوم 1858/06/24م، وأنشأ وزارة ترأسها أخوه جيروم، الذي صرّح في قوله: "ﻣﺤﻤ آﻟﻞ ﻓﻬﻠﻲﺑ ﻟﺰﻛﺤﺑ ﻫﺸﻜﺎﺑﻲﺞ ا ﻭﺦﻟﺌﺦﻫﺌ ﻟﻜﺦﻟ ﺋ"[2]، ويقصد بقوله بالقومية الصلبة المجتمع القبائلي.

وبهذا لم يكن يخفى أن الغاية من وراء ذلك هو تفكيك الشعب الجزائري بفصل منطقة القبائل عن الجزائر، والسعي إلى إزالة السلطة الأهلية في العائلة وتفكيك نظام القرية.

أسست المدارس في المنطقة بهدف دمج المجتمع القبائلي بالمجتمع الفرنسي والقضاء على مقدساتها عن طريق نشر اللغة الفرنسية والقضاء على اللغة العربية، وقد ركزت فرنسا جهودها لدمج المجتمع القبائلي معهم بغيته إنجاح سياستها التي طبقتها –فرق تسد– والتي تبنتها من أجل الوصول إلى نتائج أسرع[3]. وهذا ما أكده الأميرال ديقيدون حول هدفهم من التعليم قائلا: "ﻟﻜﺦﻟ ﻟﻜﺪﻯ آﻓﻲﺦ آﻡ آﺛﻚﻟﻲﻧ ﻫﺪﻭﺦﻟﺌﺚ ﺯﻗﺌﻡ ﻟﻔﺮﻕ ﺑﻄﻘﻰﺋﻚ ﻏﻰﻟﻚ ﻟﺠﺔﻟﻆ ﻟﻄﻒﻧﺰﻯ".

وفي تاريخ 12 فيفري 1873، اقترح الضابط العسكري قائد دائرة الأربعاء ناث إيراثن في تقريره للحاكم العام ديقيدون مخططا لدمج سكان المنطقة بفرنسا وفرنستهم، وهذا التقرير

---

(1)-COLLOT . C: Les Institutions de l'Algérie Durant la période coloniales (1830- 1962), Ed, C.NRS, Alger, 1987, P 08.

(2)– Collot. C: Ibid, PP 08– 09.

(3)– اسماعيل العربي: الدراسات العربية في الجزائر، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 10.

يتضمن إلغاء المدارس العربية الفرنسية نهائيا وخلق مدارس بلدية فرنسية، واستعمال كل الوسائل لإبعاد تأثير الزوايا من أجل إدماج المنطقة، وجعلها تحت السلطة الكاملة للفرنسيين[1].

بالإضافة إلى منح الكاردينال لافيجري كل التسهيلات من أجل إقامة المدارس في المنطقة ونشر التعليم الديني المسيحي ما أدى إلى تسهيل عملية لافيجري للتأثير على عقول الأطفال واستمالة القبائل.

وقد تخرج بالفعل من المدارس الفرنسية المختلفة عدة شخصيات مختصون في الصحافة والتعليم والترجمة والقضاء وحتى الإمامة...الخ، أي أن تلك المدارس لم تكن للتعليم والتثقيف وإنما كانت لإعداد بعض الإداريين والمترجمين في الإدارة الفرنسية، واستعمالهم لإنجاح مشروع الإدماج الذي يؤدي إلى إنجاح المشاريع الفرنسية في كل الجزائر[2].

لم تكن السلطات الفرنسية تهدف إلى تعليم القبائل والقضاء على الجهل والأمية بل كان ذلك تستر وراء مشاريعها الإدماجية، إذ أنها لم تجعل سكان القبائل متساوون في التعليم وتولي الوظائف مع الأوروبيين بالطرق التي يخولها القانون الفرنسي.

ومن أبرز الوسائل التي استعملتها فرنسا واعتمدها أيضا في هذه الفترة لتحقيق الإدماج عن طريق التربية والتعليم لتحقيق أهداف استعمارية في جوهرها نذكر:

- ترويض المجتمع القبائلي والتحايل عليه حتى يقبل بالتبعية، وإخضاعه كرها أو طواعيته للمشاريع الاستعمارية، وكان هذا المرمى الأساسي لهذه السياسة.
- القضاء على الهوية الجزائرية، وذلك بمحاربة اللغة العربية والدين الإسلامي، لأن اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي يحافظ بها الشعب على هويته ودينه وقيمه.

---

[1]- إيفون توران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس، الممارسات الطبية والدين، (1830- 1880) ترجمة: محمد عبد الكريم أوزغلة، (د.ط)، دار القصبة، الجزائر، ص 222.

[2]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 ص 80.

- استعمال الإدماج وتمكين اللغة الفرنسية للسكان عن طريق التعليم وذلك لإعداد يد عاملة غير مكلفة ماديا تدفع بالاقتصاد الفرنسي إلى الأمام[1].

في الأخير يمكن حصر أهداف فرنسا من خلال تطبيقها للسياسة التعليمية في منطقة القبائل في النقاط التالية:

- نشر الحضارة الاوروبية والسعي لإدماج السكان في الثقافة الغربية الأوروبية.
- القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية باعتبارهما المعوق الأساسي لتطبيق ونجاح السياسة الفرنسية في المنطقة.
- نشر لغة وثقافة المستعمرين في أوساط السكان باعتبارها أداة لترسيخ الاستعمار في المنطقة.
- تجسيد مبدأ وسياسة فرق تسد.
- تكريس الاحتلال والإدماج بالقضاء على الثورات المحلية التي توالت ضد المحتل.
- تهيئة الأرضية الصالحة للتنصير وإعادة المسيحية الأولى إلى المنطقة حسب زعمهم.
- تكوين نخبة مشعة بالثقافة الفرنسية لخدمة مصالح الاستعمار الفرنسي في المنطقة.
- القضاء على كل أنواع المقاومة.

وبهذا لم يكن من طبيعة المحتل الفرنسي نشر التعليم الفرنسي في منطقة القبائل وتثقيف سكانها أو تقدمهم ورفع مستواهم الذهني والفكري والحضاري من خلال المدرسة واللغة الفرنسية.

[1]– حسان صبحي: النظام التربوي الاستعماري في الجزائر، ط1، دار رياض للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005 ص 104.

# الفصل الثالث

# المواقف المختلفة من السياسة التعليمية الفرنسية

## أولا: مواقف القبائل من السياسة التعليمية.

**I- موقف السكان والزوايا.**

**II- موقف النخبة المفرنسة.**

## ثانيا: المواقف الفرنسية من السياسة التعليمية.

**I- موقف الحكومة الفرنسية والبرلمان.**

**II - موقف المستوطنين الأوروبيين.**

## ثالثا: انعكاسات التعليم الفرنسي في المنطقة.

**I- التعليم التبشيري.**

**II-التعليم العام.**

## أولا: موقف القبائل من السياسة التعليمية.

كانت السياسة التعليمية الفرنسية في منطقة القبائل لا تخلوا من هدف فرنسا الأسمى المتمثل في فرنسة السكان، وإحتلال اللغة الفرنسية والدين المسيحي محل اللغة العربية والقبائلية والدين الإسلامي، وذلك كله للقضاء على مقومات الهوية والشخصية القبائلية وقد برز موقفين مختلفين من هذه السياسة التعليمية بين من يعارضها بشدة ويرفضها وهم معظم السكان ورجال العلم والإصلاح في الزوايا، وبين من رحب بها واستغلها وهم من أطلق عليهم اسم "النخبة المفرنسة"[1]، وفيما يلي نستعرض هذه المواقف المختلفة.

### ا- موقف السكان والزوايا:

وقف أغلب سكان منطقة القبائل موقف شك من المدارس الفرنسية العمومية والتبشيرية، ورفضوا إرسال أبنائهم إليها تعبيرا عن رفضهم للغة المحتل وثقافته، واعتبار المدرسة الفرنسية وسيلة للتنصير والإدماج[2].

إذ واجه التعليم الفرنسي رفض منقطع النظير من طرف معظم سكان المنطقة، لأنهم كانوا يتخوفون من الدسائس الاستعمارية من جهة، وحفاظا على هويتهم الإسلامية من جهة أخرى، وحفاظا على أعرافهم وتقاليدهم القديمة، وليس كرها في التعليم، إذ لم تخلوا فترة من عمر الاحتلال إلا وطالب فيها كل الجزائريين بما فيهم سكان منطقة القبائل بحقهم في التعليم أو بالإبقاء على مدارسهم وعدم التعرض لها وهذا بعد إدراك السكان خاصة المتعلمين

---

[1]- النخبة المفرنسة: ظهر مصلح النخبة في فترة معينة من تاريخ الجزائر، كغيره من المصطلحات الاستعمارية التي تصدرت عناوين الصحف والاجتماعات والمناقشات اليومية مثل الإدماج، والنخبة المفرنسة: هي وليدة المدرسة الفرنسية التي أرادها الاستعمار أن تكون دعامة في فرض سيطرتها الكاملة على الجزائر، (أنظر: عبد القادر حلوش، السياسة التعليمية...، المرجع السابق، ص 26).

[2]- عمار عمورة: الجزائر بوابة إفريقيا، ما قبل التاريخ إلى 1962، الجزائر عامة، ج1، (د.ط)، دار المعرفة، الجزائر 2006، ص 212.

والمثقفين منهم أهمية التعليم، خاصة بعد أن تعرضت مدارسهم وزواياهم وكتاتيبهم ومساجدهم للهدم والغلق والمصادرة والمراقبة[1].[2]

وقد رفض القبائل إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية لأنه تعليم خالي من اللغة العربية والدين الإسلامي، وباعتبار أن هذا النمط من التعليم لا يتناسب مع التعليم الذي كان قائما في الزوايا، إضافة إلى أنه تعليم يخدم أهداف ومصالح ولغة المحتل، وهذا يتعارض مع الشخصية العربية الإسلامية لذلك كان موقف سكان المنطقة معارض منذ البداية للسياسة التعليمية الفرنسية التي سطرتها فرنسا من أجل الوصول إلى غاياتها[3].

هذا بالنسبة للتعليم العام، أما بالنسبة للتعليم التبشيري، فإن الخطر الذي هدد الديانة الإسلامية جعل القبائل يشوكون في أمر المبشرين ودليل ذلك ما أظهرت قرية تاوريرت عبد الله من خوف على مصير أبنائهم، وقرية آت يجار التي عارضت إرسال أبنائها إلى مدارس الآباء والأخوات البيض، كما اشمأزوا من أعمالهم الخيرية[4].

إذ رفض السكان إقامة التعليم التبشيري في المنطقة وهذا منذ بداية الاحتلال إلى تاريخ تعين الكاردينال لافيجري أسقفا على الجزائر سنة 1866م، وتعود أولى محاولات رفض تأسيس المدارس التبشيرية إلى غلق مدرسة المبشر كروزا في الأربعاء ناث إيراثن من طرف سلطات الاحتلال لتجنب الثورات المحلية[5].

لقد سبق القول بأن هدف المبشرين من إقامتهم للتعليم الخاص في المنطقة لم يكن تعليم الأطفال وتثقيف أبناء المنطقة، بقدر ما كان هدفهم تنصيرهم وإدخالهم في المسيحية بإبعادهم عن الدين الإسلامي واللغة العربية، وذلك باستخدام عدة وسائل مادية ومعنوية.

---

[1]– أغلقت الزوايا والمساجد والكتاتيب بحكم القرار الذي أصدره الحاكم العام كلوزيل في 08 سبتمبر 1830 والذي استهدف أوقاف الجزائريين، (أنظر: AGERON. Ch. R: Op.cit, P 11)

[2]– آسيا بلحسين: المرجع السابق، ص 63.

[3]– عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 211– 213.

[4]- ATH MANSOUR. F: Op.cit, P 05.

[5]– محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 190.

لكن رغم وسيلة الأعمال الخيرية وأساليب الإغراء التي استعملها المبشرين إلاّ أنها لم تلقى رواجا ونجاحا بين السكان، مما أدى إلى فشل هذا التعليم، رغم ما لقيه من ترحيب من طرف بعض الفقراء واليتامى الذين فرضت عليهم الظروف المعيشية القاسية أن يعمروا مؤسسات المبشرين والمبشرات[1].

لم يقبل معظم الآباء توجه أبنائهم إلى مدارس المبشرين إذ كانوا يعاقبونهم إن فعلوا ذلك لو فعلوا ذلك لخوفهم من التنصير، وكانوا يمقتون كل ما هو فرنسي حرصا وتخوفا على دينهم ولغتهم، كما أن هناك من قام بتخريب وسلب مدارس المبشرين من سكان، المنطقة وكان الأهالي يستاءون ويسخطون من الذين يزاولون الدراسة في هذه المدارس ولعل أبرز مثال على ذلك ما لقيت فاطمة آث منصور[2] التي كانت تذهب إلى هذه المدارس من سخط وإهانة من سكان قريتها[3].

كان المبشرون يعترفون بأنفسهم بأن اِهتمام سكان منطقة القبائل بإرسال أبنائهم إلى المدارس التي أسست من أجل تنصيرهم كان اهتماما ضعيفا جدا، حيث كان السكان يفضلون تعليم أبنائهم كيفية تأدية الصلوات الإسلامية وحفظ القرآن الكريم وكثيرا ما يستاءون من أحاديث المبشرين للتلاميذ عندما تتنافى والعقيدة الإسلامية[4].

إضافة إلى المعارضة الشديدة التي لقيها التعليم الفرنسي العام والتبشيري، من طرف سكان منطقة القبائل، سواء من الآباء أو الأطفال فقد واجه التعليم معارضة أشد وأقوى من طرف شيوخ الزوايا وعلماء الإصلاح في المنطقة، وتجلى ذلك في الدور الذي لعبه علماء وشيوخ المنطقة، من مقاومة للغزو الثقافي الأجنبي الفرنسي، واتضح ذلك من خلال الأشكال

---

[1]– محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 211.

[2]–فاطمة آث منصور: (1882– 1967)، كاتبة جزائرية باللغة الفرنسية ، من قرية تيزي هيبل، دخلت مدرسة داخلية في الأربعاء ناث إيراثن، نالت شهادتها في 1892، عملت بمستشفى مع الأخوات البيض، اعتنقت الكاثوليكية ونالت اسم مارغريت، (أنظر: AITH MANSOUR.F : Op.Cit, p 11 )

[3]-AITH MANSOUR.F: Ibid, P 185.

[4]– خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 148.

والأساليب التي اتخذوها ومن صلابة المقاومة التي أبداها الشعب ضد الغزو والاحتلال العسكري والديني والثقافي[1].

ولقد تصدر هذه المقاومة رجال الدين والعلم والثقافة، إذ تفرغوا للتعليم والتثقيف والتربية وتحفيظ القرآن الكريم للأطفال، ومختلف العلوم الدينية والأدبية، فواجهوا سياسة الفرنسة والتنصير والإلحاق وحاربوها محاربة عنيفة، بمختلف الوسائل، إذ قاموا بإعادة تأسيس ما لا يحصى من المعمرات والمساجد والكتاتيب القرآنية في كل القرى والمداشر والأعراش كمؤسسات للتربية والتعليم والتكوين لمجابهة التعليم الفرنسي، إذ وفروا كل الإمكانيات المادية الملائمة للإنفاق على الطلبة من إيواء، وتغذية وكل ما يلزم للإقامة والتعليم، كما وفروا الأئمة والمدرسين لكل الاختصاصات المختلفة ووضعوا مناهج ونظم وبرامج للتعليم العربي الإسلامي[2]، واستعملوا كل الوسائل لإقناع الشباب والأطفال وذويهم للإقبال على تعلم اللغة والعلوم والمعارف العربية والدينية، ومقاومة ثقافة المستعمر الغازية ووضعوا للخرجين إجازات تمنح لهم حسب تخصصهم ودرجاتهم العلمية، وذلك كله للوقوف أمام المد الثقافي الأجنبي.

ومن أسباب نجاح علماء هذه المنطقة في جهودهم الثقافية هي مساندة القبائل ودعمهم اللامحدود لأعمالهم وطبيعة المنطقة الجبلية ذات التضاريس الصعبة التي حالت دون توطن العناصر الأوروبية فيها، وكان ذلك رحمة وبركة على الدين والثقافة العربية الإسلامية[3] ولعل قائمة الزوايا والكتاتيب القرآنية التي تعج بها منطقة القبائل خير دليل على جهود سكان هذه المنطقة في نشر العلم والحفاظ على الدين الإسلامي ومحاربة الغزو الثقافي الأجنبي ففور شعورها بخطورة الوضع جراء السياسة التعليمية الفرنسية عامة، ومن التعليم التبشيري خاصة، قامت برفع لواء الجهاد ضدها ومحاربتها.

---

[1]– مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية...، المرجع السابق، ص ص 306–307.

[2]– يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة،...، المرجع السابق، ص 302.

[3]– نفسه، ص 303– 305.

وتعتبر الزاوية الرحمانية التي أسسها سيدي محمد بن عبد الرحمن[1] المشهور ببوقبرين، من أبرز زوايا المنطقة، وأشهر دعاتها: الشيخ علي بن عيسى والد لالا فاطمة نسومر [2]، والشيخ محمد بن محمد الجعدي من آث يجعد، والشيخ الحداد[3]، الذين لعبوا دورا هاما وبارزا في التوعية ونشر الأخلاق الدينية الفاضلة والعلم والثقافة العربية الإسلامية، ومحاربة المدارس الفرنسية[4]. ومن أشهر زواياها:

**1- الزاوية السحنونية:** بالأربعاء ناث إيراثن، والتي أسسها الشيخ عمر أو شريف[5] ومن أبرز وأكبر خرجيها الشيخ محمد السعيد بن أمقران السحنوني[6]، ودرس فيها العديد من الطلاب وتوافدوا إليها من مختلف المناطق[7].

---

[1]- بوقبرين: من خرجي الأزهر، تتلمذ على يد أكبر شيوخها، أبرزهم محمد بن سالم الحفناوي، كان يمتاز بالحيوية والنشاط والحنكة، عاد إلى الجزائر سنة 1770، واستقر في بجاية كواعظ ومرشد في مسجد سيدي أمقران، ثم توجه إلى الحامة واستقر فيها وهناك أصبح مشهور وذو سيرة متداولة بها بين الناس، توفي في 1794، لقب ببوقبرين لأنه له قرب في الجزائر وآخر في آث سماعيل ببوغني، (أنظر يحي بوعزيز: ثورة 1871...، المرجع السابق، ص ص 69-70).

[2]- فاطمة نسومر: (1830- 1875): من قرية ورجة، قاومت المحتل الفرنسي في منطقة القبائل، لقبت من طرف الفرنسيين بجان دارك جرجرة نظرا للهزائم التي ألحقتها بالجيش الفرنسي، (أنظر: (OUSEDIK. T: Op.cit, P 12)

[3]- الحداد: هو محمد أمزيان يطلق عليهم هذه التسمية نسبة لمهنة الحدادة، تعلم في زاوية والده في صدوق،شارك في انتفاضة 1871، وتوفي في 1878، (أنظر: بن نعيمة، عبد المجيد وآخرون: موسوعة الجزائر(1830-1954)، دط، المركز الوطني للدراسات والبحوث، الجزائر، 2007.

[4]- أبو يعلي الزواوي: المصدر السابق، ص 112.

[5]- عمر أو شريف: قبائلي الأهل، مؤسس الزاوية السحنونية التي أقامها بالقرب من الأربعاء ناث إيراثن، (أنظر: محمد الصالح الصديق: أعلام منطقة...، ص 195).

[6]- محمد السعيد: (1838- 1914): من قرية سحنونة، نشأ في أسرة ثورية، وثقافية، تلقى معظم المعارف الدينية والدنياوية على يد كبار المشايخ، درس في الزاوية السحنونية الفلك والفقه، كان ذو سمعة مسموع بها في منطقة القبائل (أنظر: مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...، المرجع السابق، ص 305).

[7]- علي بطاش: المرجع السابق، ص 102.

قام السحنوني بتجديد عهد الزاوية وإعادة تعميرها بطلبة تخرجوا على يده، فقاموا بمحاربة المحتل وإبعاد ثقافته وأنظاره عن المنطقة حتى أصبح السكان يلتفون حوله ويتركون المدارس الفرنسية العامة منها والتبشيرية[1].

**2- زاوية شلاطة:**

تعتبر هذه الزاوية من أرقى وأعرق زوايا المنطقة، إذ نجحت في توفير تعليم متقدم في علوم الدين وفنون الفقه ومعارف في الفلك والحساب وحظيت بشهرة واسعة جعلتها مقصدا للطلبة والعلماء[2].

حارب الشيخ الشريف بن علي الشريف[3] منذ سنة 1896م نشاط السلطات الفرنسية الفرنسية وعمل على عرقلة مشروعها التعليمي في المنطقة، وقام بإدخال تعليم خاص يقوم على نطاق المقاومة والمحافظة على الذات في وجه المحتل الفرنسي المسيحي الذي جاء في أعقاب الغزو العسكري لمنطقة القبائل[4].

لقد تصدى لهذه الحملة الثقافية أبناء منطقة القبائل ومن هؤلاء نذكر أبو يعلى الزواوي[5]، ولقد شرحت الكثير من الكتابات التاريخية الكيفية التي استعملها في الرد على هذه الفئة وذلك ببيان الصلة بين الإسلام والقبائل، وردا على سياستهم البربرية التي تسلم

---

[1]- علي بطاش: المرجع السابق، ص104.

[2]- نصر الدين سعيدوني: في الهوية والانتماء...، المرجع السابق، ص 148.

[3]- الشريف بن علي: باحث وفقيه، له اشتغال بالتاريخ، أسس معهد في مسقط رأسه (بشلاطة) عرف باسمه، تخرج منه عدة علماء من زواوة ومن الجنوب، من أبرز أثاره "الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار" (للمزيد أنظر: معجم أعلام الجزائر، المكتبة الشاملة، 21/04/2017 le https://:www.shamela.w.sbook).

[4]- عمر باعزيز: المرجع السابق، ص 19.

[5]- الزواوي: هو الشيخ العلامة السعيد بن محمد الشريف أبو يعلي الزواوي (1862- 1952) من قرية تفريت آث لحاج بإعكورن، تلقى تعليمه الأول على يد والده ثم درس بزاوية عبد الرحمن الإيلولي بمنطقة عزازقة، تعلم اللغة الفرنسية في السجن إذ سجن لمدة سبع سنوات، حصل على وظيفة في الإدارة الفرنسية بمساعدة من صديقه محمد السعيد بن زكري عمل كمفتي بجامع الأعظم، ثم إمام بمسجد سيدي رمضان حتى تفي ودفن بزاوية عبد الرحمن الإيلولي (أنظر: أبو يعلي الزواوي: المصدر السابق، ص 9-15).

بسطحية إسلام سكان المنطقة، إذ نشر الزواوي عدة بحوث حول اللسان البربري في عدّة مجلات عربية منها مجلة البرهان والنذير المصرية، وقد أوصلته بحوثه ومقارناته بين اللسانيين البربري والعربي إلى اكتشاف نقاط التشابه بينهما وكتب بذلك كتاب "البربرية بالحروف العربية" بدل الحروف اللاتينية التي كان يدعوا إليها دعاة الفرنسة المتأثرين بالمدرسة الفرنسية[1].

**II- موقف النخبة المفرنسة:**

رغم الجهود التي قام بها سكان منطقة القبائل، وسعي رجال العلم والإصلاح إلى إبعاد المواطنين عن التعليم الفرنسي إلاّ أنّ فرنسا نجحت في استمالة بعض الأشخاص والسيطرة على عقولهم، وقد سميت هذه الفئة بالنخبة المفرنسة.

لقد انتهت بعض العائلات القبائلية التي كانت ترفض تسليم أطفالها إلى مدارس الفرنسيين أنها مخطئة في ذلك الشأن ونددت به، وبدأت السلطة الأبوية تتراجع، وصار الأطفال ينبذون مواعظ القدماء ويستهزئون من نصائحهم، كما رفض بعضهم خدمة الأرض التي لم تعد ترى بتلك النظرة التقديسية التي كانت عند الأجداد والقدماء[2]. اذ كان هؤلاء المتعلمين يرفضون القيام بأعمال زراعية كالحصاد، مما أدى إلى حدوث قطيعة في العائلات القبائلية، حيث مال هؤلاء إلى مغادرة المنطقة، والتوجه للمدن الكبرى، والهجرة إلى فرنسا وحتى إلى الشرق والغرب العربي سعيا للحصول على مناصب الشغل[3].

لقد كانوا يحملون بسكنى المدينة وما توفره من وظائف مضمونة ومأجورة، وأصبح الآباء يعتمدون على هذه الفئة في قراءة الرسائل أو تحرير شكاوي، فبرزت بذلك نخبة سميت بالمتطورين الذين فرضوا وجودهم في المناطق التي شملها التعليم الفرنسي، وأصبحوا ينكرون

---

[1]- عبد الرؤوف فرناب: المرجع السابق، ص 102.

[2]- مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...، المرجع السابق، ص 286.

[3]- شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة منذ انتفاضة 1871 إلى 1954، ج2، ترجمة: محمد حمداوي وآخرون، (د.ط)، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص 295.

كل ما له علاقة باللغة العربية والدين الإسلامي[1]، ولقب أيضا هؤلاء بالمعوقين لأنهم لا يقدرون على تقليب الأرض ولا يستطيعون فعل شيء إلاّ الكتابة، وقد كان جميع العمال المهاجرين من القبائل يتكلمون اللغة الفرنسية، وكان أزيد من نصفهم يجيدون قراءتها وكتابتها، وكانت مراسلاتهم كلها بهذه اللغة التي هي لغة المحتل.

نجحت فرنسا في استمالة تلك الفئة من سكان منطقة القبائل واستخدامهم لخدمة مصالحها ومن أشهرهم: أعمر بن سعيد بوليفة (1865- 1931): هو قبائلي من عائلة مرابطة ومتدنية، درس في أول مدرسة استعمارية في منطقة القبائل، ثم في مدرسة المعلمين ببوزريعة، عمل كمدرس في المدرسة الابتدائية بثمزريث، كان مختص في الدراسات البربرية من حيث اللهجات المختلفة والمجموعات البربرية في المغرب الإسلامي[2]، إذ استخدمته فرنسا لخدمة قضيتها ونشر العديد من الأبحاث والدراسات حول الثقافة البربرية، أين جمع وحقق العديد من المخطوطات مثلا في الشعر القبائلي وشرحها[3].

كلفته السلطات الفرنسية بهذه الدراسات نظرا لأصوله القبائلية ولخدماته الجليلة للمحتل، و لكونه من خرجي المدرسة الفرنسية وينتمي إلى النخبة المفرنسة، وقد قضت هذه الشخصية معظم حياتها في ميدان التعليم الابتدائي[4].

إضافة إلى أعضاء أخرى بارزة من النخبة أمثال: بلقاسم بن سيدرة[5]، الذي اِعتمدت عليه أيضا فرنسا لدراسة مختلف المسائل حول منطقة القبائل، خاصة فيما يتعلق باللهجات والأعراف القبائلية نظرا لاهتمامهم الشديد بذلك بالمنطقة[6].

---

[1]- أجيرون: تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 280.

[2]- مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية... المرجع السابق، ص 295.

[3]- أحمد بن نعمان: المرجع السابق، ص 36.

[4]- أبو قاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...المرجع السابق، ج8، ص 509.

[5]- بلقاسم بن سيدرة: (1845- 1901) من مواليد بسكرة، درس في معهد فرنسي في الجزائر، ثم سافر إلى فرنسا لمواصلة مشواره الدراسي، ثم عاد وعمل كمدرس بمدرسة الأساتذة ببوزريعة، خدم السياسة البربرية الفرنسية، استعانت به السلطات الفرنسية لدراسة مختلف الأوجه من المجتمع القبائلي (للمزيد أنظر: أبو قاسم سعد الله: المرجع نفسه، ج3، ص 53).

[6]- أبو قاسم سعد الله: نفسه، ص 321.

هذا فيما يخص التعليم الخاص، أما فيما يتعلق بالتعليم التبشيرى فقد أثمرت جهود الآباء والأخوات البيض في منطقة القبائل رغم فشل نشاطها التبشيري بها، وذلك بتكوين أسر مسيحية من أصول قبائلية بعد تزويج المنتصرين بالبنات القبائليات خاصة اليتامى منهن

ومن أشهر نساء منطقة القبائل اللائي كن يتوجهن إلى مدارس الأخوات البيض نجد فاطمة آث منصور، والتي روت في كتابها "قصة حياتي" (Histoire de ma vie)، أنها كانت تذهب كل صباح يوم الأحد لحضور القداس مع الأخوات البيض وبعض البنات القبائليات ما أدى إلى سخط سكان منطقتها عليها ومقاطعتهم لها، فأصبحت بذلك تتوجه إلى مراكز المبشرات قبل الفجر وتعود في الليل حتى لا يراها السكان ولا تتعرض لإهاناتهم ونظراتهم التي كانت–حسبها– يملأها الغضب والسخط[1].

منه فقد نجحت فرنسا باستمالة مجموعة من السكان الذين وقعوا في فخاخ الإغراء الاستعماري بمختلف أشكاله، وانصهروا بمظاهر الحضارة الأوروبية، وراهنوا على الفرنسة واقتنعوا بضرورتها وإمكانيتها، ويشمل هذا الصنف العناصر التي تجنست بالجنسية الفرنسية وتخلت عن أحوالها الشخصية وقد عرف هؤلاء بالإدماجيين.

إلاّ أننا لا ننفي الدور الذي لعبته المدارس الفرنسية بتكوين نخبة مثقفة خدمت فيما بعد مصالح البلاد إذ دعوا إلى التحرر من قيود المحتل.

## ثانيا: المواقف الفرنسية من السياسة التعليمية الفرنسية:

إنّ فرنسا منذ اِحتلالها للجزائر سنة 1830م، واِحتلالها لمنطقة القبائل سنة 1857م لم تعمل من أجل تنمية وتحضير الشعب كما ادعت، بل مارست سياسة التجهيل، بإغلاقها للزوايا والمدارس والكتاتيب، والاستيلاء على أملاك الأوقاف كما سبق أن ذكرنا، فلم تفتح أبواب التعليم إلاّ لخدمة مصالحها وتلبية حاجياتها، ولقد برزت مواقف فرنسية مخلفة من جراء تطبيق السياسة التعليمية الفرنسية في منطقة القبائل وتبرز هذه المواقف فيما يلي:

[1]- AITH MANSOUR. F.: Op.cit, P 106.

## I- موقف الحكومة الفرنسية والبرلمان:

### 1- الحكومة الفرنسية:

بعد انتفاضة القبائل سنة 1871م قامت الحكومة الفرنسية بتهميش سكان القبائل في ميدان التعليم، وجمدت كل المحاولات التي قامت بها الجمهورية الثانية والمتمثلة في استخدام بعض الوسائل لدمج السكان الأصليين للجزائر في المنظومة الفرنسية التعليمية تحت مظلة المملكة العربية[1]، التي تبناها نابليون الثالث[2]، فقضوا على تجربة المدارس العربية الفرنسية، ولم ينشئوا لها بديلا، فحاصروا بذلك المنطقة ثقافيا بغلق المدارس ومراقبة الزوايا والمساجد ومصادرة أملاك الأوقاف[3]، إذ أنّ الحكومة الفرنسية تركت السكان للجهل والإهمال بدل أنّ تنشر التعليم بينهم، وهذا كان من واجبها كدولة محتلة، بل تركتهم للآباء البيض وجيش الكاردينال لا فيجري والجوزويت[4].

إلا أن عقد الثمانينات شهد بعض جهود من الحكومة الفرنسية، أين استخدمت بعض الشخصيات الفرنسية نفوذها لخدمة التعليم الفرنسي وكان على رأسها جول فيري صاحب قوانين (1880-1883)، المشهورة والتي نصت على إجبارية ومجانية التعليم في فرنسا ونقل ذلك إلى الجزائر عام 1883م، ومنها إلى منطقة القبائل التي لها حصة الأسد من التعليم، إلاّ أنها لم تمس إلاّ فئة قليلة من السكان[5].

---

[1]-المملكة العربية: هو مشروع إمبراطوري جاء به نابليونIII إلى الجزائر، يهدف إلى تحسين ظروف الجزائريين، كإعطائهم حقهم في التعليم، أو توسيع مجال التعليم، وقد لقي معارضة شديدة من الكولون وحالوا دون تطبيق هذه السياسة التي فشلت بسقوط الجمهورية الثانية (أنظر: عبد القادر حلوش: السياسة التعليمية الفرنسية ...، المرجع السابق، ص 81).

[2]- نابليونIII: (1852- 1870): هو إمبراطور فرنسي، أتى بمشروع المملكة العربية، يعتبر عهده خاتمة للحكم العسكري في الجزائر، وهو صاحب نظرية أنه إمبراطور فرنسا والعرب معا، (أنظر: بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ص 206).

[3]- أجيرون: الجزائريون المسلمون...، المرجع السابق، ص ص 110، 112.

[4]- عبد القادر حلوش: المرجع نفسه، ص 92.

[5]-Achour. Ch: Abece Daires en Devenir Idiologie Coloniale et Langue Française en Algérie, Ed ENAP, Alger, 1985, P 163.

إذ لم تكن الحكومة الفرنسية ترغب أن تصبح قضية تعليم الأهالي من اختصاص المعمرين فأصدرت بذلك الحكومة مرسوم 13 فيفري 1883م الذي نص على تعميم التعليم الفرنسي في كل الجزائر، وفي سنة 1884 عين جون مير[1]، مديرا للدراسات في الجزائر، وكان هذا الأخير متحمسا لنشر رسالة فرنسا الحضارية- القبائل عنصر روماني- في ميدان التعليم[2].

إن الحكومة الفرنسية لم تستطع التوصل إلى معرفة وتحديد المدرسة التي لا تلقى معارضة من السكان خاصة بعد أن منيت تجربتها في المنطقة بالفشل الذريع، هذا من جهة ومن جهة أخرى إنشاء مدرسة لا تلقى معارضة من طرف المعمرين وتسعى لترسيخ وتجسيد الاستعمار وإنجاح سياسة الإدماج الثقافي والاجتماعي للمنطقة[3].

**2- البرلمان الفرنسي:**

لقد عمل أعضاء البرلمان الفرنسي كل ما بوسعهم من أجل تخفيض المساعدات المالية المخصصة للبلديات لتأسيس المدارس، وهذا لحرمان أبناء القبائل من التعليم والتركيز على تقديم تعليم مهني بسيط وأولي لخدمة الأوروبيين خاصة في الميدان الفلاحي، وشجعوا الموقف السلبي للسكان من التعليم الفرنسي، حيث قال أحد النواب في هذا الشأن: "[illegible] مسنطينة يجب أن [illegible]"[4].

اِعتبر البرلمان ما يقوم به الحكام والمدراء الفرنسيين من إنشاء مدارس للذكور عمل غير لائق إذ تتحول هذه المدارس إلى مدارس للمتمردين، وستتحول البنات إلى فاسدات

---

[1]- جون مير: شغل منصب مدير الدراسات حول التعليم في الجزائر ما بين (1884- 1904)، ناضل من أجل تنمية المدرسة الأهلية، وفي عهده شهد التعليم تطورا محتشما بسبب معارضة المعمرين له، كما كان مشجعا للسياسة البربرية (أنظر: أجيرون: الجزائريون المسلمون... المرجع السابق، ج1، ص 112).

[2]- نفسه، ص ص 112، 113.

[3]- جمال قنان: التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830- 1944)، (د.ط)، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 193.

[4]- أجيرون: الجزائريون المسلمون...، المرجع السابق، ج1، ص 122.

ومرفوضات من الرجال، كما أن هؤلاء النواب المتخوفين من تعليم السكان يعتبرون القبائل رافضين للتعليم والتقدم، وأن لهم قابلية للجهل والتخلف شأنهم شأن باقي الجزائريين[1].

وهذا الأمر فندته العديد من الدراسات التاريخية التي اطلعنا عليها حول منطقة القبائل، إذ كانت على طول الدهر مركز إشعاع حضاري، وهذا ما يتبين من خلال مطالب السكان بفتح المدارس ورفع أيدي المحتل على المساجد والزوايا.

إنّ إجبارية التعليم التي جاءت بها مراسيم (1883-1887-1892) طبقت على كل الجزائريين وبالأخص في منطقة القبائل، وبالتحديد في فورناسيونال (الأربعاء ناث إيراثن)[2]، وذلك راجع لعدة أسباب أهمها: أهمية المنطقة عن غيرها والاختلاف العرقي الأمازيغي عن العربي مما جعلهم يستغلون تلك الفرصة.

وفي الأخير فإن الحكومة الفرنسية، والبرلمان الفرنسي بغرفتيه-مجلس النواب ومجلس الشيوخ-لم يكونوا متحمسين لتعليم أبناء الجزائر وإنما أرادوا خلق طبقة في مجتمع واحد، وذلك بالتفريق بين المجتمع العربي الجزائري والمجتمع القبائلي، إلا أن ذلك لا ينفي وجود فئة قليلة مدعمة للتعليم الفرنسي في المنطقة وهم من يعرفون بـ(Indigenophiles) إذ راو أن تعليم سكان منطقة القبائل يعني كسبهم وجعلهم يميلون إلى فرنسا، وبذلك يمتص غضبهم وكرههم لفرنسا المحتلة[3].

وفي صدد ذلك قال أصحاب هذا الاتجاه "لك لخزذ ز مزطرزيظ طةنكنك غى آعلف طلقلوك" هلك لخنز بـ ةنخ إئلآهصئظ" مةجـ الطفلئجـ ةطخزيب" [4]، وهنا المقصود استمالة الشعب بالتعليم لتجنب المقاومة ضد فرنسا.

إذن فإن هؤلاء المدعمون للسياسة التعليمية في المنطقة كانوا يدعون إلى ذلك من أجل خدمة أنفسهم وخدمة الاستعمار الفرنسي حتى يتسنى له البقاء لأكبر فترة ممكنة دون

---

(1)- COLONNA. F. : Op.cit, P 17.
(2)-COLONNA. F: ibid, p 18.

(3)- مدني حسين: المرجع السابق، ص 99.

(4)- نفسه، ص 100.

مقاومات وثورات لأنهم كانوا يرون أن التعليم يعني وسيلة لنشر السلم الاجتماعي وامتصاص غضب الشعب، واستمالته وتسخيره لفائدتهم، دون النظر إلى تعليم السكان من أجل الحصول على شعب متقدم وحضاري متعلم.

## II- موقف المستوطنين الأوروبيين:

لقيت السياسة التعليمية الفرنسية في منطقة القبائل معارضة شديدة من طرف المستوطنين الذين رفضوا تعلم أبنائهم مع أبناء المنطقة داخل مدرسة وصف واحد، كما أنهم كانوا متخوفين من خطورة انتشار التعليم بين أوساط السكان، واعتبروا جهلهم وسيلة تسهل لهم عملية السيطرة عليهم، وتسخيرهم بسهولة لخدمة مصالح المحتل وأهدافه.

لم يرضى المستوطنين بهدف السياسة في المنطقة بل صبوا وبلا من الانتقادات على السلطات الفرنسية المختصة في ذلك، فلم يتم فتح المدارس في الأماكن التي تأكد فيها نفعها كالمدن العامرة، بل قاموا بذلك في البلديات المختلطة والبلديات الأهلية[1]. وقد قام رؤساء البلديات الذين هم من غلاة المستوطنين بتقليص حجم النفقات التي خصصتها الحكومة الفرنسية لتعليم السكان، وذلك لضمان عدم نجاح هذه السياسة[2].

وبسقوط الجمهورية الثانية هلل المعمرين بذلك لأن سقوطها يعني سقوط حلم المملكة العربية الذي رأوا فيه مساسا بمصالحهم، وقد اِزدادت معارضتهم لكل شيء يكون له علاقة بخدمة أو تطور الجزائريين ولهذا عارضوا سياسة تعليم الأهالي معارضة شرسة خاصة بعد صدور قانون فيفري 1883م، وما تلاه من مراسيم وقرارات، حيث اعتبروا تعلم أبناء الشعب يشكل خطرا على المستعمرة، وكانوا يعانون مما يسمونه "فوبيا تعلم الأهالي"[3].

كان هدف المستوطنين وراء معارضتهم لتعلم أبناء المنطقة هو إلغاء التعليم الموجه للقبائل وكل الجزائريين (تعلم اللغة الفرنسية)، إضافة إلى تحويل القروض المخصصة لتعليم

---

[1]- أجيرون: الجزائريون المسلمون... المرجع السابق، ج1، ص 571.

[2]- مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية... المرجع السابق، ص 285.

[3]- عبد القادر حلوش: السياسة التعليمية...، المرجع السابق، ص 106.

هؤلاء إلى تطوير التعليم الفلاحي والتطبيقي الخاضع لمدرسين فرنسيين، ووحد الكولون جهودهم واستعملوا كل الوسائل لمنع انتشار التعليم الفرنسي خوفا من أن يقود هذا التعليم المتعلمين من سكان منطقة القبائل وكل سكان الجزائر إلى اليقظة من أجل الدفاع عن الحقوق والمطالبة بالحرية[1]، وهذا بالفعل ما حصل مع مجموعة من النخبة المفرنسة.

لقد استند المستوطنين في موقفهم على مجموعة من المبررات أهمها: المبرر المالي إذ ادعوا أن بناء المدارس يؤدي إلى إفلاس خزينة المستعمرة، وفي سنة 1901م طالبت الوفود المالية كإجراء للحد من نفقات المستعمرة ما يلي:

– توقف السلطات الفرنسية عن بناء المدارس.

– إخضاع تأسيس المدارس إلى المراقبة المستمرة، وكان هؤلاء المعمرين يعلمون جيدا أن النسب الكبرى من الضرائب يدفعها السكان ولم يكن يستفيد منها بقدر استفادة الكولون منها[2].

– إضافة إلى المبرر السياسي باعتبارهم أن تعلم أطفال المنطقة يشكل خطرا سياسيا واقتصاديا على المستعمرة ككل، لأنهم إذ تعلموا سيصبحون مستعدين للجهاد، وأعداء لفرنسا ويؤدي إلى تخرج زعماء سياسيين وإطارات عسكرية من منطقة القبائل نظرا لكونهم شجعانا وجريئين، كما وصفهم الفرنسيين[3]، ويؤدي ذلك في النهاية إلى التفكير في التحرر والمطالبة بالإستقلال والحرية.

– بالإضافة إلى المبرر التقليدي، أين برر المستوطنين عدم رغبتهم في تعلم السكان لأنهم هم أنفسهم – السكان– يرفضون التعلم في المدارس الفرنسية، ولأن أولياء الأطفال يظنون أنه إذ ما تعلم أبنائهم سيصبحون موظفين في الإدارة الفرنسية، أو ينخرطون في

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 148.

[2]-KATEB. K : Le système éducatif dans l'Algérie coloniale (1833- 1962), bilan statistique historiographique, Ed APIC, Alger, 2014, P 47.

[3]– صالح عوض: معركة الإسلام والصليبية في الجزائر (1830– 1954)، ترجمة محمد المعراجي، (د.ط)، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص 214.

الجيش الفرنسي وأن المدرسة الفرنسية ستجعل منهم حسب زعمهم مرتدين ومبتعدين عن محيطهم، ومنفصلين عن جذورهم، كما تجعل من البنات منحرفات وفاسدات ومرفوضات من أبناء مجتمعهن[1].

مع مرور الوقت كان المستوطنين يزيدون من ضغطهم على الإدارة الفرنسية ويزيدون من معارضتهم لتعليم الأهالي حتى أعلنوا أمام اللجنة البرلمانية بقيادة جول فيري سنة 1892 ولجنة شارل جونار[2] المكلفة بهذا الشأن: "[illegible]" [3].

وقد استفحلت هذه المعارضة لتصل أوجها في الأزمات المالية التي تعرضت لها الجزائر ما بين (1899-1908)، أين حرضوا البلديات على رفض تقديم القروض لمشروع تأسيس ستون مدرسة سنويا للجزائيين واشتدت المعارضة عندما استقلت الجزائر ماليا في سنة 1902م أين طالب النواب الكولون بإلغاء القروض المخصصة لتأسيس مدارس جديدة[4].

رغم تفشي ظاهرة المعارضة الشديدة من الكولون للسياسة التعليمية الفرنسية في منطقة القبائل وفي كل الجزائر إلاّ أنّ هناك أقلية من المستوطنين الذين دعوا إلى تعليم سكان منطقة القبائل، حتى يصبحون عناصر فعالين للمعمرين، وكذلك كسب مودتهم وفصلهم عن باقي سكان الجزائر العرب المسمين، منه فإن هؤلاء الكولون المؤيدين لتعليم أطفال المنطقة كانوا نفعيين، همهم الوحيد هو خدمة مصالحهم وتحقيق أهدافهم وليس تعليم الأطفال حبا لهم وإنما لاستغلالهم[5].

لقد ناد أنصار هذا التيار بتعليم الأهالي وبنشر المدارس الابتدائية الفرنسية في كل مكان وتعليم الأطفال اللغة الفرنسية بدلا من اللغة العربية، باعتبار الأولى أداة لغزو النفوس

---

(1)– مدني حسين: المرجع السابق، ص 107.

(2)– شارل جونار: سياسي فرنسي من عائلة برجوازية، كان نائب في البرلمان الفرنسي، شغل عدة مناصب منها وزير الأشغال ثم حاكم عام على الجزائر في 1900، (أنظرشخصيات خلدها التاريخ: .https://:www.islamros.com.zeemath (le 21/04/2017

(3)– إبراهيمي مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر (1830– 1962)، (د.ط)، دار غرناطة، الجزائر، 2013، ص 157.

(4)-KATEB. K: Op.cit, P 46.

(5)- COLONNA F: Op.cit, P 40.

والقلوب، وغرس فيهم الدين المسيحي بدل الإسلامي وذلك كله قصد تكوين طبقة معتدلة من الزعماء والوطنيين الذين يعملون على تدعيم النفوذ الفرنسي في منطقة القبائل خاصة وفي كل الجزائر عامة، وهذا ما لم يصلوا إليه إذ قاموا بتخريج نخبة أدت بهم إلى خسارة المستعمرة وتركها لأهلها الأصليين، ولم يحققوا أي تفريق في المجتمعات الجزائرية، إذ بقيت منطقة القبائل متصلة بالجزائر وقد حارب أهلها لغة المحتل ونفوذه في المنطقة وحال دون نجاح الأهداف التي سطرتها السلطات الفرنسية والكولون[1].

إذن لم يكن الأوروبيون يسمحون للقبائل وحتى لكل أبناء الجزائر من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب بتولى المناصب الإدارية العليا وحتى الدنيا منها في بلادهم، كما أن السياسة الاستيطانية أفقرت الشعب وجعلته غير قادر على إعالة أسرته، واضطروا بذلك إلى هجر التعليم، وقد كان الكولون يطالبون بتعليم القبائل تعليم أوليا بسيطا، وإعطائهم تعليما فلاحيا ومهنيا، وكان هدفهم من ذلك كله هو إعداد عبيد لخدمة السيد المعمر في الفلاحة والبناء والمهن الأخرى التي يحتاجها، وقد اتهموا الأطفال وقالوا عنهم أنهم عامل مساعد على نقل الأمراض المعدية لأنهم لا يغتسلون، ولا يعرفون مبادئ النظافة، وهذه الأسباب وغيرها حالت دون وصول السلطات الفرنسية والمبشرين والمعمرين إلى تطبيق أهدافهم في المنطقة والمتمثلة أولا في فصل سكان منطقة القبائل عن كل الجزائريين، وثانيا إدماجهم مع العنصر الأوروبي وثالثا سلخهم عن الدين الإسلامي ومقومات الشخصية القبائلية من جهة والعربية الإسلامية من جهة أخرى وهذا كله لضمان نجاح المشروع الاستعماري لفرنسا بالجزائر واستمراريته.

[1]- COLONNA F : Op.Cit, P 49.

## ثالثا: اِنعكاسات التعليم الفرنسي على المنطقة:

إن الجهود التي بذلتها الإدارة الفرنسية من خلال نشر التعليم العام وجهود المجموعات الدينية التي سعت إلى نشر التعليم التبشيري في منطق القبائل، وفي الجزائر كلها تجعلنا نتساءل عن مدى نجاحها في المنطقة وعن النتائج التي حققوها بها وعن انعكاساتها خلال تلك الفترة وعلى المدى البعيد. إذ أنّ التعليم الفرنسي في منطقة القبائل مرّ بمراحل مختلفة باختلاف الزمن والسياسة التي تتحكم فيه وتنظمه وتسهر على تطبيقه في الواقع، فسياسة فرنسا التعليمية كانت تتأرجح بين الرفض والقبول في أوساط السكان والمعمرين وبين النجاح والفشل في المنطقة.

فبالرغم من تمكن فرنسا من استغلال معظم سكان منطقة القبائل، وجعلهم يقبلون التعليم الفرنسي بمختلف أشكاله، عموميا كان أو تبشيريا، إلاّ أنها لم تستطع كسبهم بشكل جماعي وبالصورة التي كانت السلطات الاستعمارية تتوقعها، فرغم الصبر والتفاني في أساليب الإغراء إلاّ أن المحاولات لم تكن لها نتائج أكثر من التي تحصلت عليها في مناطق أخرى من البلاد حتى ولو كان الاهتمام زائد وخاص بهذه المنطقة، ومنح الأولوية لها في معظم المشاريع[1].

### I- التعليم التبشيري:

فيما يخص التعليم التبشيري فقد اعترف شارل لافيجري بفشله في منطقة القبائل وعبر عن مرارة خيبته لأعماله والنتيجة المؤلمة التي آل إليها نشاطه التبشيري عن طريق التعليم، وقد صرّح بنفسه عن ذلك عندما اتضح له الفشل في هذه السياسة بقوله: "***لقد خسرنا كل شيء لأننا لم نحترم شيئا***"، بعد ما كان يدعي بأنه سيحول المنطقة إلى لبنان إفريقي وبعد هذه الهزيمة قام لافيجري بإعطاء أوامر لأعوانه بإخلاء عدة مراكز والانسحاب منها[2].

---

[1]- محمد العربي ولد خليفة: المرجع السابق، ص 230.

[2]- بسام العسلي: محمد المقراني وثورة 1871، (د.ط)، دار النفائس، الجزائر، 2010، ص 204.

أما عن أهم المظاهر التي دلت على فشل الأعمال التبشيرية في مجال التعليم نجد العزل والنبذ حيث وجدت مدارس المبشرين عقبة لا يمكنها تخطيها وقد تمثلت في التضامن القوي الذي يربط بين الأطفال وعائلاتهم، فأما عن الأطفال الذين يزاولون هذه المدارس فهم منبوذين من طرف الآباء، ما يدفعهم لمغادرة العائلة وحتى المنطقة بأكملها[1]. وهذا ما حدث مع فاطمة آث منصور التي كانت تزاول مدرسة الأخوات البيض حيث نبذت من طرف أهل قريتها.

إضافة إلى عدم المصاهرة إذ رفض سكان المنطقة تزويج بناتهم لهؤلاء التلاميذ الذين أصبحوا متنصرين، أو أخذ البنات اللائي كنّ يزاولن تعليمهن في مراكز المبشرات، إلى جانب التهديد إذ يكون كل خريج من المدارس الدينية مهدد من طرف أهله، وتعتبر عملية رفض العائلات للأطفال المتنصرين من ذويهم ذات أبعاد، ولها دلالات هامة في تحديد مسار عملية التنصير في منطقة القبائل عن طريق وسيلة التعليم التبشيري[2].

ولعل أبرز سبب لفشل التعليم التبشيري في منطقة القبائل هي ردة فعل السكان، فرغم الأعمال الخيرية والتعليم المجاني الذي كان يتلقاه أبنائهم إلاّ أنهم عارضوه بشدة، ومن الأدلة الساطعة التي تبرر هذا الرفض هي تلك الشكاوي التي كان يقدمها سكان المنطقة لسلطات الاحتلال ضد جمعيات اليسوعيين والآباء البيض عندما قام أعضائها بتهريب بعض الأطفال من جرجرة إلى الجزائر العاصمة وإلى فرنسا[3].

ومن بين عمليات الاختطاف التي نفذت في مراكز المبشرين نجد ما قام به الأب ليروندال (Lerondelle)[4]، في سنة 1870م إذ حاول اختطاف البنت عيشوشة وأخوها مولود من المركز بقرية إيحسناون قرب فور ناسيونال، لكن معارضة أخيها الأكبر محمد

---

[1]– محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصرة، ص 273.

[2]– محمد أحسن أكيلال: "التنظيم في منطقة القبائل"، جريدة البصائر، ع360، ديسمبر، 2013، ص 23.

[3]– المرجع نفسه، ص 234.

[4]– ليروندال: أب ورجل دين من اليسوعيين الذين قدموا إلى الجزائر سنة 1870م (أنظر: مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...، المرجع السابق، ص 342).

حال دون ذلك، إذ تفطن لهذه العملية قبل حدوثها[1]. إضافة إلى عملية أخرى حدثت في 15 نوفمبر 1880م عندما أخبر حاكم الأربعاء ناث إيراثن نائب العمالة لتيزي وزو أن السيد مسعود بن سعيد قدم شكوى تتعلق بتهريب بوجمعة بن احمد البالغ من العمر 13 سنة من طرف اليسوعيين، وبعد هذه العمليات قامت العديد من العائلات باسترجاع أبنائهم من المدارس وقام العديد من التلاميذ بالفرار عندما أدركوا الحقيقة، فلم يبقى من مجموع1753 طفل سوى 378 طفل منهم 242 بنت[2]، وهذا دليل على فشل وخسارة المدارس التبشيرية في منطقة القبائل.

كما اعترف المبشرون أنفسهم أن اهتمام الأهالي بإرسال أبنائهم إلى المدارس التي أسست بغية تنصيرهم كان اهتماما ضعيف جدا، حيث كانوا يفضلون تعليم أبنائهم الصلاة والقرآن، وكانوا يستاءون من أحاديث المبشرين والمبشرات للتلاميذ.

رغم الفشل الذي أصاب التعليم التبشيري في منطقة القبائل، إلاّ أنه لقي حظا قليلا من النجاح، حتى ولو أن المتنصرين قد عاشوا حياة تعيسة، إذ كانوا محتقرين ومنبوذين، فقد غيرت أسمائهم، وقاطعهم الناس، حتى أصبحوا يسمونهم بالمطرودين فلا يكلمونهم ولا يصاهروهم ولا يحترمهم أحد[3].

يعتبر المتنصر مجنس في نظر السكان، وينفرون منه نفورا كبيرا وقد وقعت حوادث خطيرة في منطقة القبائل، حيث امتنع الطلبة المجنسين من قراءة القرآن والقيام بالصلوات ومما يجدر ذكره أن أغلب من تأثر بالتعليم التبشيري كانوا من طائفة الضعفاء والفقراء والأيتام[4].

---

[1]– مزيان سعيدي: النشاط التبشيري... المرجع السابق، ص 342.

[2]– خديجة بقطاش: المرجع سابق، ص 188.

[3]– مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية... المرجع السابق، ص 345.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 289.

إلا أن التعليم التبشيري لقي حظه من النجاح حيث أثمرت جهود الآباء والأخوات البيض بتكوين أسر مسيحية من الأطفال الذين تمت استمالتهم بالعطف والأعمال الخيرية في مدارس المبشرين، إذ تم تزويج المتنصرين بالبنات القبائليات خاصة اليتيمات منهن، وأبرز مثال عن هذا النجاح هو قيام لافيجري بتزويج الطالب محمد بن علي الذي عمل بروما وعين كمرشد بمدرسة الآباء البيض بقرية واضية، حيث اختارت له الأخوات يتيمة من مدرسة توريرت عبد الله، كانت هذه البنت ذات تربية مسيحية وقد أقيم حفل زفافهما في 08 ديسمبر 1887م، وكانت بذلك أول أسرة مسيحية قبائلية كان أفرادها من خريجي مدرسة المبشرين[1].

ولإتمام العملية قام المبشرون بمساعدة المتنصرين المقبلين على الزواج بتوفير كل الوسائل لهم (من بنات مسيحيات، من المدارس وكل ما يخص وسائل العيش كالبيوت والعمل...) وذلك كله لإنجاح عملية الزواج التي وصلت في الأخير إلى تكوين خمسين أسرة (50) مسيحية بمنطقة القبائل، وهذا يعد نجاحا باهرا للكردينال لافيجري، وللتعلم التبشيري الذي خرّج شخصيات عملت على استمرار المسيحية في المنطقة[2].

أما على المدى البعيد فقد واصل الآباء والأخوات البيض نشاطهم التنصيري بعد وفاة لافيجري سنة 1892م، وفيما يلي بعض الإحصائيات التي تبين نشاط المدارس التبشيرية في منطقة القبائل بين النجاح والفشل.

**جدول يبين أهم القرى التي تمركز فيها التعليم التبشيري[3]:**

| | 1907 | 1913 | 1921 |
|---|---|---|---|
| **واغزن** | 100 | 185 | 217 |

[1]- ELIE G: Op.cit, P 63.
[2]- Ibid: PP 63, 64.
[3]– محمد أرزقي فراد: إطلالة...، المرجع السابق، ص 98.

| | | | |
|---|---|---|---|
| **واضية** | 140 | 232 | 237 |
| **آث اسماعيل** | 105 | 148 | 151 |
| **اغيل علي** | 50 | 40 | 95 |

نلاحظ من خلال الإحصائيات الواردة في هذا الجدول، ارتفاع عدد المتنصرين ما بين (1907 و1921) وهذا دليل على استمرار نجاح التعليم التبشيري في هذه المناطق.

**II- التعليم العام:**

لقد تعرض التعليم العمومي لفشل كبير إلا أنه توج بشيء من النجاح، ويظهر فشل السياسة التعليمية في المنطقة من خلال المعارضة الشديدة التي تلقتها من معظم السكان ومن الكولون الأوروبي.

إن العامل الأساسي لفشل السياسة التعليمية في منطقة القبائل تجسد في العامل المحلي المتمثل في رفض السكان التعليم الفرنسي الهادف إلى إدماجهم وربطهم بمسار الأمة الأوروبية بعد سلخهم من ثقافتهم ولغتهم، وشخصيتهم القبائلية، فبالرغم من الطابع الذي تميزت به تلك المدارس النصف عربية والتي حاولت أن تعطي تعليما ابتدائيا دينيا ومجانيا فقد ظل رفض التلاميذ لها واضحا حتى أن بعضهم اعتبروها صورة هزلية للمدرسة القرآنية وبالتالي فشلت السياسية التعليمية الفرنسية، لأنه لم يكن باستطاعة هذه المدارس أن تستمر بالبقاء لمعارضة السكان والكولون لها إذ كانوا منذ البداية ضدها وطالبوا بإلغائها[1].

سجل قطاع التعليم الأهلي عجزا خطيرا من طرف الإدارة الاستعمارية فيما يخص ضمان استقبال أبناء منطقة القبائل الذين هم في سن التمدرس سواء في بناء المدارس اللائقة

[1]- أسيا بلحسين: المرجع السابق، ص 64.

والكافية، أو في توفير التأطير المناسب من المدرسين، وتوفير الشروط المادية بتخصيص ميزانية جيدة لتلك المؤسسات الخاصة بالسكان[1].

إن الإدارة الفرنسية فتحت عددا من المدارس، إلا أن أنه لم تحقق أي تقدم في ذلك ولم تحقق حتى الهدف المنشود من وراء التعليم، والذي هو القضاء على الأمية[2]، وفي نفس الوقت عملت منذ الغزو على محاربة الثقافة العربية، فقضت على المراكز الثقافية المزدهرة في المنطقة منذ قورن خلت، وكذلك غلق المئات من المدارس التي كانت متواجدة قبل الاحتلال خاصة الزوايا.

إن معظم لأطفال الذين سجلوا في المدارس الفرنسية لم يتجاوزا مرحلة التعليم الابتدائي وليس معنى ذلك نقص في ذكائهم ولكن رغبة من فرنسا في تجهيلهم ليسهل عليها استعبادهم، وهذا ما كان يطالب به المعمرين الأوروبيين، لأنهم كانوا يعتبرون الأهالي من جنس بشري منحط لا يصلح إلاّ للأعمال الشاقة ولا يستحقون إلاّ الإذلال والقهر[3].

وبالرغم من كل الجهود التي بذلها المعلمون في مختلف الأوساط بدعم من ضباط المكاتب العربية المتخصصة، الذين حاولوا التقرب من السكان وتوزيع الملابس على التلاميذ الفقراء، وتوفير حاجيات المدارس المختلفة وإعطاء الجوائز للمتفوقين وأخذهم إلى المسارح للترفيه والتأثير عليهم، إلاّ أنّ الاستجابة كانت هزلية بين الناس، فرغم كل المغريات، فهم منعوا أبنائهم من مزاولة الدراسة وحتى الأطفال نفسهم امتنعوا عن الذهاب لمدارس الفرنسيين وذلك يرجع للظروف المادية بسبب الفقر[4]، أما تعليم البنات فإن السياسة التعليمية الفرنسية لم تحقق أي نجاح بل فشل فشلا كبيرا رغم إنشاء العديد من المدارس لتعليمهن خاصة الخياطة والنسيج والفخار والطرز، وفشلت لأن الأعراف القبائلية كانت تقدس المرأة منذ

---

[1]– شريف بن حبيلس: الجزائر الفرنسية، كما يراها أحد الأهالي، ترجمة: عبد الله حمادي وآخرون، (د.ط)، دار المسك، الجزائر، 2012، ص 50.

[2]– إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 155.

[3]– عمار عمورة: المرجع السابق، ص 293.

[4]– مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية... المرجع السابق، ص 288.

ولادتها عكس ما ذهبت إليه الكتابات الفرنسية على أنها كانت امرأة متفتحة ومتعلمة وفي هذا الشأن تشبه المرأة الفرنسية، وبالتالي فإن السياسة التعليمية بالنسبة للمرأة لم تنجح بالشكل الذي كان متوقعا، إذ جاء على لسان شارفوريا[1]، قائلا في هذا الشأن:"ومن مفيخ زعنف لكاناذ ها شهنب مسئي بّ لئق خ لئق ى ك تهجيل ك ن خ ل ك لآف ك ق ى شئ هـ هئ لئ آخ ذ لـ م تـ ح صـ ذ ط لئق ل ئ ك ك ى ئ لـ م ك ح صـ ذ هـ ن ى ئ لإ ه لل ك لـ ب ط لئق ل ئ ك ي ب لآ م ذ لـ هـ ئ ض ر ة هـ ئ ي لـ ق م تـ ف ي ذ ك ذ ب ك ّ ك هـ ئ ك ز ا / ف لـ هـ ئ ذ ومسئ ك ح ف ي خ لـ م ك لـ غ ئ ذ ز ك خ ئ ش ب ب ك لـ هـ ئ ة..."[2].

وهناك فئة قليلة التحقت بالمدارس إلا أنهم لم ينقطعوا عن متابعة دروس حفظ القرآن في الكتاتيب المنتشرة في كل مكان، وتحت كل الظروف، حيث كانوا يحاولون التوفيق بين المدرسة الرسمية الفرنسية من جهة، وبين مدرسة تحفيظ القرآن من جهة أخرى، فيذهبون إلى المدرسة القرآنية في الصباح الباكر ويعودون إلى بيوتهم قبل الساعة الثامنة لتناول الفطور، ثم يتوجهون إلى المدرسة الرسمية الفرنسية التي يقضون فيها طول النهار، وقد يعودون ثانية إلى المدرسة القرآنية في المساء، كما يزاولون هذه الأخيرة في أيام العطل[3].

منه فلم يبقى من أصل 13501 من قدماء التلاميذ في منطقة القبائل سوى 252 تلميذ واصلوا دراستهم إلى ما بعد شهادة الابتدائية، أما الآخرون فقد أصبحوا مزارعين وحرفين وبائعين متجولين، أو تجار صغار كآبائهم وقد أثبتت الإحصائيات أن 4.9% فقد حصلوا على وظائف إدارية مقابل 90% بقوا على الحالة التي كانوا عليها، مع العلم أن 6.6% هاجروا إلى المدن للعمل، أما نسبة الذين أصبحوا مزارعين فقد كانت في تزايد مستمر ما بين 25% إلى 37.8% خلال سنة 1891م إلى غاية 1904م[4].

---

[1]– شارفوريا: هو أستاذ في العلوم القانونية في كلية الحقوق بالجزائر، قام برحلتين إلى منطقة القبائل سنة 1888، له عدة كتب ودراسات حول المنطقة أهمها: "ثمانية أيام في منطقة القبائل" (للمزيد أنظر: مزيان سيعدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية...، المرجع السابق، ص 279).

[2]– مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية...، المرجع السابق، ص 181.

[3]– محفوظ قداش: المرجع السابق، ص 181.

[4]– أجيرون: الجزائريون المسلمون... المرجع السابق، ج2، ص 577.

لكن رغم هذا الفشل الذي أصاب التعليم الفرنسي في منطقة القبائل إلا أنه لقي نجاح نسبي حيث انتشرت الثقافة التعليمية الفرنسية في المنطقة، وتمثل جماعة النخبة القبائلية المفرنسة ثمرة التعليم الفرنسي في المنطقة إذ أن هذه النخبة، هي مجموعة تثقفت بالثقافة الفرنسية وتأثرت بالحضارة الأوروبية.

وقد كان لتيار النخبة عدة جرائد داخل البلاد وخارجها، ويمثل أنصار هذا التيار هؤلاء الذين نجحت المدارس العامة والتبشيرية في استمالتهم وصبغهم بالصبغة الفرنسية حتى أصبحوا يدينون لهم بالولاء والخدمة[1].

إلا أنه لا يمكن التنكر للجوانب الإيجابية لهذا التعليم، فمن العدل الإدلاء بحداثة هذا التعليم مقارنة مع التعليم المحلي الذي كان في المنطقة قبل دخول المحتل، فقد كان تعليما تقليديا لا يخرج عن نطاق العلوم الدينية وشيئا يسيرا من العلوم الدنيوية[2]، حيث تتميز هي الأخرى بالتأخر ولكن التعليم الفرنسي عمل على إدخال مواد جديدة ومناهج حديثة لم تكن معروفة من قبل، وهي تلك العلوم التي جعلت من الغرب كيانا متقدما[3].

أصبحت بذلك اللغة الفرنسية لغة العلم والتعليم والإدارة وكل النشاطات السياسية والاقتصادية والثقافية، ومعنى ذلك أنها أصبحت اللغة الرسمية في المنطقة، وفي كل البلاد كما تجدر الإشارة إلى أنه حتى ولو عمل المحتل الفرنسي على تضييق التعليم الفرنسي ولغته على الأهالي إلاّ أن المحيط اللغوي الذي كان سائدا آنذاك قد أثر على لغة السكان فالاحتكاك المستمر بالأوروبيين ساهم بشكل كبير بدمج مع بعض الكلمات الفرنسية مع القبائلية والعربية، وأصبحت بعدها من الكلام المتداول إلى يومنا هذا[4].

---

[1]– أمقران يسلي، المرجع السابق، ص 62.

[2]-ZDRAVKO.P: Algérie témoignage d'un rapporter yougoslave sur la guerre d'Algérie entreprise nationale du livre, Alger, 1987, P 200.

[3]- IBAHIMI. K . T : Les Algériens et leur(s),éléments pour une rapproche sociolinguistique de la société Algérienne, 2ème Ed Hikma, 1997, P 30.

[4]– أبو عمران الشيخ: المرجع السابق، ص 49.

وفي الأخير يمكن القول بأن معارضة الكولون وقلة الإمكانيات المسخرة لعملية التعليم ورفض القبائل إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، يفسر لنا هشاشة النظام التعليمي الفرنسي في الجزائر وفشله.

إذ لم يكن لهذه المدارس نجاح كبير والتردد عليها كان مما يرثى لها، فالثانويات استقبلت بعض أبناء القادة ولم يتابع منهم التعليم العالي إلى قلة قليلة منه لم تكن المدرسة الفرنسية تأثير كبير على الرأي العام في المنطقة خاصة والجزائر عامة، إذ بقي السكان مرتبطون بالتعليم التقليدي العربي الإسلامي.

لأنه لم يكن من طبيعة الاستعمار ولا هدفه تحقيق تقدم المستعمرات، ورفع مستوى سكانها الذهني والفكري والحضاري من خلال المدرسة واللغة الفرنسية وثقافتها، وإنما تم استعمالها لإخراج نخبة تخدم مصالحها من خلال إشباعها بروح العظمة الفرنسية، وإدماجها بشعبها.

# خاتمة

## خاتمة:

إنّ الإدارة الاستعمارية الفرنسية كانت تدرك مدى أهمية التعليم لتطور الأمم والشعوب كما كانت تعلم أن للجزائر ماضي تعليمي مميز، وأن للقبائل قابلية التعلم والتطور. لذلك سخرت كل إمكانياتها من أجل تكريس مشروع استعماري تعليمي يهدف إلى استئصال الجزائر من موروثها التعليمي العربي الإسلامي.

فمنذ السنوات الأولى من الاحتلال حاربت من اللحظة الأولى حاربت المساجد والمدارس القرآنية والكتاتيب والزوايا، إما بالسيطرة عليها أو تحويلها عن حقيقتها الطبيعة أو هدمها بحجة الضرورة العامة لشق الطرقات مثلا، أو التضيق عليها بحرمانها من مصادر التمويل بالسيطرة على أموال الأوقاف، وإخضاع الشيوخ ومعلمي القرآن للرقابة الشديدة، حتى يعزفون عن التعليم ويضطرون إلى الهجرة، وبالفعل هاجر منهم عدد كبير نحو المشرق والمغرب.

وبعد أن حطمت المنظومة التعليمية والتربوية التقليدية، حاولت عبثا أن تؤسس منظومة على مقاسها، تخدم المصالح الفرنسية بصفة عامة، ومصالح المعمرين بصفة خاصة، وكانت بدايتها من منطقة القبائل.

إذ قامت بإرسال الإرساليات التبشيرية إلى منطقة القبائل، حيث قام هؤلاء المبشرين بقيادة الأساقفة، على رأسهم الكاردينال شارل لافيجري بتأسيس منظمة تعليمية فرنسية مسيحية، بهدف خلق فئة مفرنسة ومسيحية لخدمة المصالح الاستعمارية العليا بالجزائر.

ويرجع هذا الاهتمام بمنطقة القبائل واستهدافها إلى الخصوصية التي تتميز بها عن باقي المناطق، حيث عرف سكان المنطقة مظاهر حضارية كشف عنها التاريخ، وسجلت في وسجلاته واعترف بها الفرنسيون أنفسهم، في كتابتهم وكشفوا عن تنظيمات القبائل السياسية والإدارية ونشاطاتهم ولغتهم وثقافاتهم، فحاولوا صبغها بالصبغة الرومانية، واعتبروا أنّ إسلامهم سطحي، فرض عليهم من قبل العرب الغازين، فسعى الاستعمار الفرنسي إلى تكريس سياسة قبائلية قائمة على الخرافة، توطدت دعائمها في فكر سياسيين وعسكريين

ورجال الدين، حاولوا جميعهم إظهار مزايا العنصر القبائلي وخصائصه والتي تجعله أكثر تأهيلا لتقبل المشروع الاندماجي الفرنسي، وبالتالي الانصهار في بوتقة الحضارة الأوروبية المسيحية، ولهذا الغرض أقيمت عدة دراسات ومشاريع، أهمها دراسات إميل ماسكاراي وهانوتو ولوتورنوو ومشاريع كاميل صباتيي، وكل ذلك للتأثير على القبائل واستمالتهم.

فقد كانت البرامج التعليمية تدرس باللغة الفرنسية وقليل من اللغة العربية، لهذا أصبحت اللغة الفرنسية لغة التخاطب والتعامل في كل قطاعات الحياة، وقد كانت سلاح فعال للسيطرة على عقول الأطفال وذويهم ودمجهم بالثقافة الفرنسية.

ومن خلال مختلف المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها والروايات التي سمعناها من طرف الشخصيات التي قبلناها نستنتج أن المدارس الفرنسية، أقيمت للقضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي بالدرجة الأولى ولتعليم أبناء المنطقة لخدمة أغراض الكولون واحتياجاتهم خاصة في المجال الفلاحي وخدمة الأرض، وكانت معظم المدارس تحول دون وصول أبناء الأهالي إلى مقاعد الدراسة حتى أنهم حددوا المستوى الدراسي، بعدم السماح لهم بتجاوز المرحلة الابتدائية، خوفا منهم من ردة فعل هؤلاء السكان.

إلاّ أن الحصانة الدينية التي تتمتع بها المنطقة من خلال زواياها ونشاط شيوخها وعلمائها كان درعا واقيا مكن سكان المنطقة من الصمود في وجه السياسة الثقافية الفرنسية ومحاربة التعليم الفرنسي العام والتبشيري.

لكن من جهة أخرى لا يمكن إنكار الجوانب الإيجابية لهذا التعليم، إذ كان ذو طابع حديث مقارنة بالتعليم العربي الإسلامي الذي كان تقليديا ينحصر فقط في العلوم الدينية وقليل من العلوم الدنيوية، فرغم طابع المدرسة الفرنسية الاستعماري والتعليم الضعيف الذي تقدمه لأطفال منطقة القبائل، إلاّ أنها أمدت الجزائر فئة مثقفة، عرفت باسم النخبة، التي كان لها دورا كبير خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، حيث عمل أفرادها على إيصال القضية الجزائرية إلى المحافل الدولية من خلال تدوين العرائض، والمطالبة بحق الشعوب في تقرير مصيرها والحق والحرية كبقية شعوب العالم، وكانت المطالبة بحق الشعب بالتعليم من أولويات هذه الفئة.

# الملاحق

الملحق رقم(1): مرسوم 13فيفري 1883.

**Décret du 13 février 1883**
**Dispositions spéciales relatives à l'instruction des indigènes** [1].

1-Dispositions générales.

Art 30.-il est établi pour les indigènes une prime pour la connaissance de la langue Française. Cette prime sera de 300 francs. La dépense sera imputée sur le budget de l'instruction publique.

Les formes de l'examen et les conditions du droit à cette prime seront réglées par arrêté ministérielle après avis des conseils départementaux et du conseil académique.

Art 31.-les examens du certificat d'études primaires élémentaire, institués par l'article 17 du présent décret, porteront, pour les indigènes, sur les épreuves ci-après énumérées ;

Langue française : lecture, écriture, notions usuelles et sommaires de grammaire et d'orthographe constatée par une dictée et une explication orale.

Calcul : les quatre règles, règle de trois, notions essentielles du système métrique. Notions très sommaires sur la géographie et l'histoire de la France et de l'Algérie.

Langue arabe ou berbère ; lecture et écriture.

Pour les jeunes filles, la couture, facultativement la gymnastique et le travail manuel

Un arrêté du recteur réglera le mode d'examen et d'appréciation.

Art 32.-l'indigène muni du certificat d'études établi par l'article 31Pourra être employé comme moniteur dans les écoles publiques, et recevoir en cette qualité, le traitement prévu par l'article 39.

Art 33.-Il pourra être accordé aux élèves indigènes des écoles publiques qui se distingueront par leur assiduité et par leur travail des primes de fréquentation et des encouragements sous la forme de dons en nature (aliment, vêtements chaussures, livres, fournitures scolaire).

Art 34.-Des arrêtés du gouverneur général détermineront, à mesure que le nombre des locaux scolaires le permettra, les communes ou les fractions de communes dans lesquelles les prescriptions du titre III, relatives à l'obligation scolaire, seront applicables aux indigènes.

Art 35.-Dans toute école publique, la liberté de conscience des enfants indigènes est formellement garantie ; Ils ne peuvent être astreints à aucune pratique incompatible avec leur religion ; ils ont droit en particulier à l'application de l'article 13.

Art 36.-Il sera établi dans chacun des départements d'Algérie des cours normaux destinés à préparer les indigènes aux fonctions de l'enseignement. Le nombre, le siège et l'organisation de ces cours normaux seront déterminés par le ministre de l'instruction publique, sur la proposition du gouverneur général et du

[1] - B.O.G.G, Vingt troisième année 1883, Alger. Imprimerie de l'association ouvrière et c^ie^,1884.

recteur. La dépense résultant de l'établissement et de l'entretien de ces cours sera supportée par le budget de l'instruction publique.

Il ne pourra être établi dans les mêmes conditions des cours normaux spécialement destinés à l'étude de l'arabe ou du berbère pour les instituteurs et institutrices français.

Art 37.-le ministre de l'instruction publique mettra au concours un ou plusieurs livres scolaires spécialement destinés à l'instruction élémentaire des indigènes.

2- Dispositions relatives aux communes de plein exercice et communes mixtes.

Art 38.-Dans les communes de plein exercice et les communes mixtes, les enfants indigènes sont reçus aux écoles publiques et aux mêmes conditions que les européens, ils sont soumis aux mêmes règles d'hygiène, de propreté et d'assiduité. Nul enfant ne peut être reçu dans une école publique s'il n'est vacciné ou n'a eu la petite vérole.

Art 39.- Dans toute école publique comptant au moins vingt-cinq élèves indigènes, l'instruction de ces élèves, pendant la durée du cours élémentaire sera confié de préférence à un adjoint indigène muni du brevet de capacité ou, à son défaut, à un auxiliaire ou moniteur indigène muni du certificat d'études.

L'adjoint breveté sera assimilé pour le traitement et l'avancement aux adjoints français, par dérogation au paragraphe 4 de l'article 1 du décret du 27 mai 1878. Les moniteurs pourvus du certificat d'études recevront ; 1-un traitement fixe qui pourra s'élever par augmentation successive à un an au moins d'intervalle, de 400 à 900 francs.2- une allocation éventuelle de 1 franc par élève et par mois de présence. Les adjoints et moniteurs indigènes sont nommés par le recteur dans la même forme que les adjoints français, toutefois cette nomination dans les communes mixtes devra être faite sur la présentation du préfet.

Art 40.-Il pourra être créé, pour les enfants indigènes des deux sexes de quatre à huit ans, des écoles enfantines dirigées par des institutrices munies du brevet de capacité ou du diplôme des salles d'asile. Elles pourront être assistées par des monitrices indigènes rétribuées de la même façon que les moniteurs.

Art 41.-toutes les créations d'écoles dans les communes mixtes seront faites après décision du conseil départemental dans les conditions prescrites par les articles 1 et 2 du présent décret. Cette décision pourra être provoquée, à défaut la commission municipale, soit par l'autorité administrative soit par l'inspection académique.

3- dispositions relatives aux communes indigènes.

Art 42.- Dans les communes Indigènes, des écoles peuvent être créées par décision du gouverneur général sur la proposition du général commandant la division ou à la requête de l'inspecteur d'académie et, dans les deux cas, après avis du conseil départemental.

Pour l'établissement de ces écoles, les communes pourront recevoir des subventions de la caisse des lycées et écoles. Le traitement des instituteurs sera la charge de l'état, les autres dépenses à la charge de la commune.

Art 43.-L'enseignement sera donné dans les écoles des communes indigènes en français et en arabe.

Art 44.- Les écoles des communes indigènes seront de deux sortes ; écoles principales ou du centre dirigées par un instituteur français, écoles préparatoires ou de sections confiées à des adjoints ou des moniteurs indigènes, sous la surveillance du directeur de l'école principale.

Art 45.-Le directeur de l'école principale est nommé par le gouverneur général sur la présentation du recteur, il doit remplir les conditions suivantes :

Etre pourvu du brevet de capacité.

Etre marié.

Avoir résidé deux ans au moins en Algérie

Avoir obtenu la prime de la langue arabe.

S'engager à exercer pendant cinq ans au moins dans une commune indigène sauf un cas de force majeure.

Il recevra un traitement de début de 3.000 francs avec augmentation annuelle de 100 francs, à ce traitement pourront s'ajouter les allocations prévues par l'article 6 du présent décret.

Il aura un logement avec jardin ou champ.

Il aura droit, en outre, si la résidence l'exige, au nombre de prestations en nature que l'autorité militaire locale déterminera pour assurer ces approvisionnements.

Il aura droit, tous les deux ans, à l'époque des vacances, au transport gratuit pour lui et sa famille sur un point quelconque de l'Algérie, ainsi qu'à l'autorisation de passage gratuit en France et au parcours à demi tarif sur les chemins de fer français.

Il recevra un supplément de traitement de 200 francs par an, passible de retenue, pour chaque école préparatoire qui s'ouvrira sous la conduite d'un de ces élèves.

Art 46.-La mère, la femme, la fille ou la sœur de l'instituteur peut être chargée de la surveillance et du soin des plus jeunes enfants et recevoir à ce titre une allocation de 5 à 800 francs, si elle est brevetée et peut diriger une école enfantine elle recevra un traitement de 1500 francs susceptible d'augmentation annuelle de 100 francs.

Art 47.-Les adjoints et les moniteurs indigènes chargés des écoles préparatoires seront nommés et rétribués comme il est dit à l'article 39.

Art 48.-Pour assurer la prompte exécution des mesures prescrites par le titre IV du présent décret, le ministre de l'instruction publique mettra à la disposition du recteur d'Alger, par une délégation temporaire, un inspecteur d'académie et s'il y a lieu un ou plusieurs inspecteurs primaires, avec mission

d'organiser, sous les ordres du recteur, le service de l'instruction primaire des indigènes.

Art 49.- Sont et demeurent rapportées les dispositions des règlements antérieurs, contraire au présent décret.

Art 50.-Le ministre de l'instruction publique et des beaux-arts, le ministre des finances et le gouverneur général de l'Algérie sont chargés, chacun en ce qui le concerne, de l'exécution du présent décret.

Fait à Paris, le 13 février 1883.

Jules Grévy.

Par le président de la république :

Le ministre de l'instruction publique et des beaux-arts. J-Duvaux.

Le ministre des finances. P-Tirard.

# البيبليوغرافيا

# قائمة المصادر والمراجع.

## أولا: باللغة العربية:

### أ- المصادر:

#### 1.المقابلات الشخصية:

2. زيداني محند أرزقي: مجاهد متقاعد، قوبل يوم 22 ماي 2017، على الساعة (14:20)، في منزله بتامدة.
3. ناث جودي محمد وعلي: أستاذ اللغة الفرنسية وموظف في المركز الإسلامي بتيزي وزو، قوبل يوم 25 أفريل 2017، على الساعة (11:00)، في المركز الإسلامي.
4. عرقوب محمد: أستاذ تاريخ وجغرافيا، متقاعد، قوبل في 2017/03/14 على الساعة (15:11)، في مدرسة بوساكوفي بسيدي نعمان.
5. خيدر رشيد: موظف عمومي في مدرسة تامدة، درس بها عند الفرنسيين، قوبل في 2017/05/22 على الساعة 13:10 في مدرسة تامدة.

#### 2- المصادر المطبوعة:

1. هانوتو ولوتورنو: منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ترجمة: مخلوف عبد الحميد، ج2، د.ط، دار الأمل، الجزائر، 2003.
2. الزواوي أبو يعلى: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق: إسماعيل بواري، د.ط، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008.
3. الحفناوي أبو قاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف،ج2، د.ط، د.ب.ن، د.ت.ن.

**ب- المراجع:**


1. أجيرون شارل روبير: الجزائريون المسلمون وفرنسا، (1871-1919)، ج1، تعريب: مرجحا، مسعود، وأ، بكي، د.ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
2. أجيرون شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصرة منذ انتفاضة 1871 إلى 1954، ج2، ترجمة: محمد حمداوي وآخرون، د.ط، دار الأمة، الجزائر، 2013.
3. الإبراهيمي أحمد طالب: من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، ترجمة: حنفي ابن عيسى، د ط، الجزائر، 1972.
4. بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
5. بوعزيز يحي: ثورة 1871م (دور عائلتي المقراني والحداد)، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت.ن.
6. بن حبيلس شريف: الجزائر الفرنسية، كما يراها أحد الأهالي، ترجمة: عبد الله، حمادي وآخرون د.ط، دار المسك، الجزائر، 2012.
7. بن نعمان أحمد: فرنسا والأطروحة البربرية، الخلفيات والأهداف، الوسائل والبدائل، ط2، دار الأمة، الجزائر، 1997.
8. بطاش علي: لمحة تاريخية منطقة القبائل، حياة المقراني والشيخ الحداد وثورة 1871، د.ط، دار الأمل، الجزائر، 2007.
9. بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830- 1871)، د.ط، دار دحلب، الجزائر، 2007.
10. الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج1، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983.
11. جرمان عمار: الحقيقة مذكرات عن ثورة التحرير الوطني وما بعد الاستقلال، د.ط، دار الهدى، الجزائر، 2007.

12. ولد خليفة محمد العربي: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية، والعولمة والعلمية، د.ط، دار ثالة، الجزائر، 2007.
13. وعلي محمد الطاهر: التعليم التبشيري في الجزائر (1830- 1904)، دراسة تاريخية تحليلية، د.ط، منشورات دحلب، الجزائر، 1997.
14. زورو عبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1900)، د.ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
15. حلوش عبد القادر: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، دار الأمة، الجزائر، 2013.
16. يسلي أمقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1954)، د.ط دار الأمل، تيزي وزو، د.ت.ن.
17. مياسي إبراهيمي: مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962)، د.ط، دار غرناطة الجزائر، 2013.
18. الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج1، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.
19. المناصرة عز الدين: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، إشكالية التعددية اللغوية، د.ط، دار الشروق، الأردن،د.ت.ن.
20. مصطفى خالد وفروج،عمر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د.ط، المكتبة العصرية للنشر، بيروت، 1973.
21. توران ، إيفون: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس، الممارسات الطبية والدين، (1830-1880)، ترجمة: محمد عبد الكريم أوغلة، (دط)، دار القصبة، الجزائر، 2005.

22. سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
23. سعد الله أبو قاسم: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، د.ط، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1992.
24. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
25. سعيدوني نصر الدين: في الهوية والانتماء الحضاري، د.ط، دار البصائر الجديدة الجزائر، 2003.
26. سعيدي مزيان: النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1899) ط1، الجزائر، 2009.
27. عوض صالح: معركة الإسلام والصليبية في الجزائر (1830-1954)، ج1، ط2، دار حلب، الجزائر، 1992.
28. عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962، الجزائر عامة، ج1، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
29. العسلي بسام: محمد المقراني وثورة 1871، د.ط، دار النفائس، الجزائر، 2010.
30. العربي اسماعيل: الدراسات العربية في الجزائر، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
31. فراد محمد أرزقي: دور الزوايا إيبان المقاومة والثورة التحريرية، الملتقى الوطني الأول والثاني، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
32. فراد محمد أرزقي: إطلالة على منطقة القبائل، د.ط، دار الأمل، الجزائر، 2006.
33. فرج محمد الصغير: تاريخ تيزي وزو، منذ نشأتها حتى سنة 1954م، تعريب: موسى زمولي، د.ط، مطبوعات ثالة، الجزائر، 2007.

34. فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر من العهد الفينيقي إلى خروج الفرنسيين د.ط، دار العلوم، الجزائر، 2002.
35. صبحي حسان: النظام التربوي الاستعماري في الجزائر، ط1، دار رياض للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
36. الصديق محمد الصالح: الشيخ أرزقي الشرفاوي، حياة وآثار، شهادات ومواقف، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1998.
37. الصديق محمد الصالح: أعلام منطقة القبائل، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
38. قداش محفوظ: جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر (1830-1954)، ترجمة: محمد المعراجي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات ANEP، الجزائر، 2008.
39. قنان جمال: التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830-1944)، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2007.
40. ريسيلير كمال: السياسة الفرنسية بالجزائر، ترجمة ندير، طيار، ط1، دار كتابات جديدة للنشر، د.ب.ن، 2016.
41. الشيخ أبو عمران: قضايا في الثقافة والتاريخ، ط3، دار ثالة، الجزائر، 2007.

**ج- الدوريات:**

1. أكيلال محمد أحسن: "التنظيم في منطقة القبائل"، مجلة البصائر، ع360، ديسمبر 2013.
2. الإبراهيمي أحمد طالب: "التعليم والثقافة في الجزائر"، مجلة الثقافة، ع4، السنة الأولى سبتمبر، 1971.
3. الإبراهيمي محمد البشيري، "آليات الاستعمار الاستيطاني الأوروبي في الجزائر، ليبيا" جريدة البصائر، ع175، ما ي 2008.

4. بعزيز عمر: "الزوايا في الزواوة"، جريدة الشهاب، ج1، ع9، الجزائر، 1933.
5. يحي بوعزيز: "ملامح عن قلعة بني حماد وبجاية"، مجلة الأصالة، ع36، السنة السادسة، ديسمبر– جانفي 1977.
6. درار أحمد: "التعليم الأهلي في الجزائر خلال العشر سنوات من استرجاع السيادة"، مجلة الأصالة، ع8، السنة الثانية، ماي –جوان 1972.
7. حلوش عبد القادر: الكولون الفرنسيون والتعليم الفلاحي في الجزائر"، مجلة عصور، ع2، ديسمبر 2002.
8. المهدي البو عبدلي: "الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى"، مجلة الأصالة، ع13، 1973.
9. المهدي أبو عبدلي: "تراجم بعض مشاهير علماء الزواوة، القبائل الصغرى والكبرى"، مجلة الأصالة، ع15، 1973.
10. سعيدوني نصر الدين: المسألة البربرية في الجزائر، دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية" عالم الفكر، ع4، أفريل– جويلية، 2004.
11. عسوس عمر: بربر الجزائر والتعريب"، دراسات عربية، ع1، نوفمبر– ديسمبر 1955.
12. رحوي آسيا بلحسين: "وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي"، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد 7، 2011.
13. التميمي عبد الجليل: "الحركة التبشيرية في تونس"، مجلة الأصالة، ع30، جانفي– فيفري 1976.
14. التميمي عبد الجليل: "التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر، القرن 19"، المجلة التاريخية المغربية، ع1، 1974.

## د-الأطروحات والرسائل الجامعية:


1. بوضرساية بوعزة: المسألة البربرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية (1830- 1930)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، فيالتاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بوزريعة، 2004- 2005.
2. حسين مدني: التعليم الرسمي الفرنسي في الجزائر (1884- 1914): مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الجزائر، 2012- 2013.
3. حسين الحاج مزهورة، الحالة المدنية آلية من آليات الهيمنة الاستعمارية في الجزائر، حالة منطقة قبائل جرجرة (1891- 1962)، القسما، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2014- 2015.
4. حسين الحاج مزهورة: السياسة الأهلية للولاية العامة الجزائرية، في عهد الجمهورية الثانية (1870- 1901)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، فسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2004- 2005.
5. طيار ليلى: النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1865- 1892)، منطقة القبائل أنموذجا، مذكرة ماستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، قطب شتمة، 2012- 2013.
6. مسعودي بدر الدين: إستراتيجية معالجة أحداث القبائل في الصحافة الجزائرية، جريدة الخبر نموذجا، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع التنمية، كلية العلوم إن.وإ.ج قسم العلوم الاجتماعية، قسنطينة، 2004- 2005.

7. مزيان سعيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموقف السكان منها (1879- 1914)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2008- 2009.
8. فرناب عبد الرؤوف: جهود علماء الجزائر في الرّد على التنصير إيبانالإحتلال الفرنسي (1830- 1962)، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر1، 2014- 2015.
9. خليل كمال: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطور (1850- 1951)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2007- 2008.

**هـ- الموسوعات والقواميس:**

**1- الموسوعات:**

1- بن نعيمة عبد المجيد وآخرون: موسوعة الجزائر(1830-1954)، دط، المركز الوطني للدراسات والبحوث، الجزائر، 2007.

**2- القواميس:**

1. العرابي عبد اللطيف وآخرون: معجم العلوم التربوية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1994.

**و- المواقع الإلكترونية:**

1. معجم أعلام الجزائر، المكتبة الشاملة:
https://www.islamrose.com.zeemah. le 21/04/2017
2. شخصيات لها تاريخ:
https://www.shameber.org.w.s .books le 20/04/2017 .

**ثانيا: باللغة الفرنسية:**

## 1. المصادر:


1. AIT MANSOUR Fatma : Histoire de ma vie, Ed Mehdi, Alger, 2009.
2. BOURGEOIS Henri : Rapport d'ensemble sur l'état de l'instruction primaire en Algérie, Paris, 1880.
3. DAUMAS Eugène et Fabar, Michel : La Grande Kabylie, Etude historique, Ed Hachette, Paris, 1847.
4. DE CRESCENZO Jean: Chronique Tizi Ouziennes (1844- 1914), Ed Alph, Alger, 2007.
5. ELIE George: La Kabylie du Djurdjura et les pères blancs, Ed, Desoyes, Paris, 1923.
6. HANOTEAU et LETOURNOUX : Les coutumes, Kabylie, Ed Chanel, Paris, 1869.
7. MINOT Charles : Revue archéologique, Paris, 1828.
8. Rambaud Alfred : L'enseignement primaire chez les indigènes d'Algérie et notamment en grande Kabylie, 1892.
9. REMOND M: Au cour de pays Kabyle, La Kabylie touristique illustrée des années trente préface d'Agustín Bernardi, Ed Zyriba, Alger, 2001.
10. RINN Louis: Marabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie, Alger, 1884.
11. YVER Georges: Les correspondances du capitaine Daumas consul de France a mascara, (1837- 1839), Ed elmaarifa, Alger, 1912.


**2- المراجع:**


1 -.ACHOUR Christiane : devenir idiologie coloniale et langue française en Algérie, Ed ANAP, Alger, 1985.

2 –AGERON Charles Robert : La France en Kabylie, ed Belle lettre Alger, 2014.

3 -ALAIN Mahe : Histoire de la grande Kabylie, 19ème, 20ème siècles, Anthropologie, Histoire de lieu sociale dans les communes villageoises, Ed Bouchène, Paris, 2001.

4 -ANTOINENE Léon : Colonisation Enseignement et Education, Etude Historique Comparative, Ed l'Harmatan, Paris, 1991.

5 COLONA Fanny : Les instituteurs Algérien (1883- 1939), Ed Opu, Alger, 1975.

6 -COLLOt Claude : Les instituions de l'Algérie durant la période coloniales (1830- 1962), Ed, C.NRS, Alger, 1987.

7 –SLIMANI DIRECHE Karima: Chrétiens du Kabylie (1873- 1954) une action missionnaire dans l'Algérie coloniale, Ed Bouchen, Paris, 2004.
8 –IBAHIMI TALEB Kaoula: Les Algériens et leur(s), Eléments pour une rapproche sociolinguistique de la société Algérienne, 2ème éd Hikma, 1997
9 –KATEB Kamel : Le système éducatif dans l'Algérie coloniale (1833- 1962), Bilan statistique historiographique, ed APIC, Alger, 2014.
10 -SURDON G : Institution et coutumes des berbères du Maghreb (Maroc, Algérie, Tunisie, Sahara), les éditions international, Tanger, 1963.
11-MORIZOT Jean : L'Algérie Kabylisée, Cahier de l'Afrique et l'Asie, Collection Fondée Robert Montagne en 1948, T6, Ed Peyeromnet, 1962.
12-OUSEDIK Tahar: Lala Fatma N'soumer, 2ed, Entreprise Nationale du livre, Boulvard Zirout Youcef, Alger, 1992.
13-RAHMANI Slimane : Coutumes de Kabylie (Fiançailles, mariages, grosses, naissances Ed Tafat, Alger, 2011.
14 – ZDRAVKO Pecar : Algérie témoignage d'un rapporter yougoslave sur la guerre d'Algérie entreprise nationale du livre, Alger, 1987.
15 - PECARD M : Chez moi en Kabylie, Djamaa N'Saharidj (1955- 1966), Tizi Ouzou, 1966- 196, Ed Belliers, P 105 .

## 3- المواقع الإليكترونية:

1. KODIR Aissa: Histoire du système d'enseignement colonial en Algérie httpw://www.books, open edition.org. le 22/03/2017.
2. Armenia Childs: ps www.org. le 16/06/2017

# الفهارس

# فهرس الأعلام والأماكن

**1- فهرس الأعلام.**

-(أ)-

- أبو يعلى الزواوي: 18،76،77.
- أبو القاسم البوجليلي: 16 ،19.
- إبن المعطي: 21.
- إبن عبد الرحمان الأزهري: 20.
- إبن القاضي: 18.
- أوجين كومبس: 13.
- آيت منصور محند: 44،117.
- الأمير عبد القادر: 57.
_ إميل كوبي: 47.
- إميل ماسكاراي: 42،55،56
- أعمر سعيد بوليفة: 78.
- أرزقي الشرفاوي: 18.
- آث طالب علي: 20.
- آث منصور فاطمة: 73 ،79،88.

-(ب)-

- بافي: 27.
- بوجمعة بن أحمد: 89.
- بوقبرين: 19، 75.
- بورجوا: 33.
_ بوساكو: 45،116.
- بوسبعين سعيد:36.

- بيجو: 59،27.
- بلقاسم بن سيدرة: 78.

-(ج)-

- جاكلين ميلوكس: 45.
- جول فيري: 85،43،42.
- جون هاري: 40.
- جون مير: 81.
- جيروم: 67.

ـ(د)ـ

ـ دوماس: 62.
ـ ديقيدون: 66،42،41.

ـ(هـ)ـ

ـ هانوتو: 54 ،55.

-(ز)-

- زيداني محند أرزقي: 45.
- زيدان محند سعيد: 45.

-(ح)-

- الشيخ الحداد: 75.

-(ك)-

- كاميل صباتيي: 60 ،61.
- كلوزيل: 72.
- كروزا:28،72،27.

-(ل)-

- لالا فاطمة نسومر : 75.
- لافيجري: 30،29،26،25،27،67،57،56،39،38،35،34،65،72،
87،80،89،90.
- لوتورنو :54.
- ليروندال:88.

-(م)-

- مارغريت:73.
- مولود: 88.
_ موريس وارنيي: 54،53.
- محمد أمزيان:75.
- محمد بن أبي القاسم بوجليلي:16، 19.
- محمد بن زكري: 19.
- محمد بن محمد الجعبي: 75.
- محمد بن سالم الحفناوي:75.
- محمد بن عبد الرحمن الجيلاني: 75.
- محمد بن علي: 89.
- محمد وعلي ناث جودي: 29.
- محمد السعيد بن أمقران السحنوني: 75.
- محمد عرقوب: 45.
- مكماهون: 59،46،47،36،35.
- مسعود بن سعيد: 89.

-(ن)-

- نابليون الثالث: 66،80.

-(س)-

- السعيد الحسين الورثيلاني:16.
- سعيد بوليفة:78.

-(ع)-

- عبد الرحمن الإيلولي: 16،18،76.
- عيسى عليه السلام: 30.
_ عيشوشة: 88.
- علي بن يحي: 20.
- علي بن عيسى: 75.
- عمر أوشريف: 75.
- عبد الرحمان الازهري:20.

-(ف)-

- فابار: 57.

-(ر)-

- راندون: 59.

-(ش)-

- شارل جونار: 85.
- شارل ماريسال ألمان: 26.
- شارل روبير أجيرون: 58،61.
- شرفوريا: 92.
- الشريف بن علي الشريف: 76.

**2- فهرس الأماكن:**

أسقطنا بعض أسماء الأماكن لكثرة ترددها في ثنايا المذكرة وهي منطقة القبائل، الجزائر، فرنسا.

-(أ)-


- الأوراس: 55.
- الأزهر: 16،18.
- إحسناون: 88.
- إمارة كوكو: 18.
- الأندلس: 21.
- إعكوران: 76.
- إفريقيا: 26.
- الأربعاء ناث إيراثن: 60،28،27،66،88،82،75،73،72،67.
- إغيل أعلي: 29،99،90،36،31،30.
- آث هيشم: 107،32 .
- آث واضو: 30.
- آث ورثلان: 16.
- آث حسن: 60.
- آث يجار: 72.
- آث يجعد: 75.
- آث يني: 34،،30،29،28،27،62،60.
- آث كوفي: 18.
- آث لربعاء: 108،31،30.
- آث محمود: 60.
- آث منقلات: 29.

- آث سماعيل:18،20،90،75،30.
- آث عباس: 29.
- آث عيسى: 60.
- آث قاسي: 44.
- آث خليلي: 60.
- آث غيلاس: 19.

-(ب)-

- بابيون: 26.
- باتنة: 20.
- بجاية: 16،20،21.
- بوجليل: 16،19.
_ بوزريعة: 78.
- البويرة: 20.
- بوغني: 18،75.
- بني دوالية: 30،29،60.
- بني ميزاب: 55.
- بني فراوسن: 21،29،28.
- بني فراح: 34.
- بسكرة: 78.

-(ج)-

- جامع الصهاريج: 46،42،47،43،31،29،28،27،21.
- جرجرة: 27،18،61،28،110،88،75،55.

-(د)-

- دلس: 46،109.

-(ز)-

- الزيتونة: 16.

-(و)-

- واضية: 29،91،90،60،31.
- واغزن: 29،90.
- وهران: 53.
- ورجة: 75.

- (ح)-

- الحامة: 75.
- حصن نابليون: 54،27.

- (ك)-

- كوربات: 60.

-(ل)-

- لبنان: 56،88.

-(م)-

- المدية: 54.
- ميلة: 35.
- ميرابو: 45.
- ميشلي: 43.
- معمر: 37،73.
- المركز الإسلامي: 29.

- المشرق العربي: 21.
- المغرب العربي: 20،78.
_ مقلع: 21.

-(ن)-

- نيفر: 54.

- (س)-

- سطيف: 21.
- سيدي نعمان: 45.
- سيدي عيش: 20.

- (ع)-

- عزازقة: 76.

- (ف)-

- الفاتيكان: 30.
- فورناسيونال:،35،42،47،46،43،112،88،82،62،60.

- (ص)-

- صدوق: 75.

- (ق)-

- القاهرة: 18.
- قسنطينة: 14.

- (ر)-

- روما: 90.
- ريف الفرنسية: 54.

- (ش)-

- الشاوية: 55.

- شلاطة: 76.

- الشرق الإسلامي: 21.

- (ت)-

- تامدة: 44،45.

- تيزي هيبل: 73.

- تيزي وزو: 42،41،29،48،47،60،113،88.

- تيزي راشد: 42،43.

- تلمسان: 14.

-(ث)-

- ثوريرث ميمون: 43.

- ثوريرث عبد الله: 30،31،72،90.

- ثمازيرت: 43،106.

- ثمزريث: 78.

- ثفريث آث الحاج: 76.

- ثغمونت عزوز: ،30،31،29.

-(ذ)-

- ذراع الميزان: 54،73،19،20.

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات


**مقدمة.**

**كلمة الشكر.**

**الإهداء.**

**صفحة المختصرات.**

**الفصل التمهيدي: واقع التعليم في منطقة القبائل قبل الاحتلال الفرنسي.....13.**

**الفصل الأول: التعليم الفرنسي إيبان الاحتلال.....25.**

**أولا: التعليم التبشيري في منطقة القبائل.....25.**

**I- نشاط الإكليروس الديني.....26.**

**II- وسائل التعليم التبشيري.....33.**

**ثانيا: التعليم العام في منطقة القبائل.....38.**

**I- المدارس العربية الفرنسية.....39.**

**II-المدارس القبائلية.....41.**

**III- المدارس المهنية.....47.**

**الفصل الثاني: إستراتيجية فرنسا في منطقة القبائل.....51.**

**أولا: سياسة فرنسا القبائلية.....51.**

**I- الدراسات الأنتروبولوجية الاجتماعية حول المنطقة.....51.**

**II- الخرافة القبائلية.....57.**

**ثانيا: أهداف السياسية التعليمية في منطقة القبائل.....63.**

**I- نشر الحضارة الأوروبية.....63.**

**II- الإدماج.....65.**

الفصل الثالث: المواقف المختلفة من السياسية التعليمية الفرنسية.....71.
أولا:موقف القبائل من السياسة التعليمية.....71.
I- موقف السكان والزوايا.....71.
II-موقف النخبة المفرنسة.....77.
ثانيا: المواقف الفرنسية من التعليم الفرنسي.....80.
I- موقف الحكومة الفرنسية والبرلمان.....80.
II- موقف المستوطنين الأوروبيين.....83.
ثالثا: انعكاسات التعليم الفرنسي على المنطقة.....87.
I. التعليم التبشيري.....87.
II. التعليم العام.....91.
خاتمة.....97.
الملاحق.....100.
البيبليوغرافيا..... 103.
فهرس الأعلام والأماكن.....114.
فهرس المحتويات.....126.